خطبة الإدانة الطويلة عند سور المدينة

فرناندو كراب أرسل إلىّ هذا الخطاب



الطبعة الثانية

تأليف: تانكريد دورست

ترجمة: عبد الغفار مكاوى

2/1

المشروع القومي للترجمة

المركز القومي للترجمة

خطبة الإدانة الطويلة عند سور المدينة

و

فرناندو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١/ ٢
- خطبة الإدانة الطويلة عند سور المدينة
  وفرناندو كراب أرسل إلىّ هذا الخطاب
- تانكريد دورست
- عبد الغفار مكاوى
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة مسرحيتى:

1- Grosse Schmährede an der Stadt mauer

2- Fernando Krapp hat mir diesen Brief geschrieben

Von: Tankred Dorst

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

خطبة الإدانة الطويلة عند سور المدينة
و
فرناندو كراب أرسل إلىّ هذا الخطاب

تأليـــف: تانكـــريد دورســـت
ترجمة: عبد الغفار مكاوى



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٦٢٩٦ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 9 - 531 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تقـديـم

« كان السؤال الذى شغلنى وحركنى فى جميع مسرحياتى هو هذا السؤال : كيف ينبغى على الإنسان أن يعيش ، وما الذى ينبغى عليه أن يفعله ؟ » .. ولأن السؤال قد طرحته أجيال من الأدباء والمفكرين والبشر العاديين منذ عصور لا تدركها الذاكرة ، وسوف تواصل طرحه أجيال أخرى فى عصور لا نستطيع أن نتنبأ بطبيعتها وأحوالها ، فقد اهتدى السائل – وهو الكاتب المسرحى تانكريد دورست الذى نقدم فى هذا الكتاب عملين من أجمل وأشهر أعماله – إلى الحقيقة البسيطة التى تلزمنا بالخضوع لها ، دون التوقف فى الوقت نفسه عن معاودة طرح السؤال بكل الصيغ والأشكال الممكنة ، ألا وهى استحالة التوصل لإجابة نهائية وحيدة عليه ، لأن كل الإجابات التى زعمت على مدى التاريخ أنها هى الأخيرة والقاطعة قد ثبت فشلها الذريع ، وربما تسبب بعضها فى كوارث ومآس لا أول لها ولا آخر ... لهذا لا يدهشنا أن نجد كاتبنا يقول عن مسرحه إنه هو مسرح الحيرة والتساؤل المستمر الذى يكتفى بإثارة العقل والوجدان ولا يتورط فى الزعم الأجوف بتقديم الحقيقة أو الحقائق النهائية ، وكأن هذا المسرح يستظل بالعبارة الجدلية الساخرة الشهيرة التى أطلقها سقراط فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهى أنه لا يعرف سوى أنه لا يعرف ، أو بالعبارة المفعمة بالشك والألم التى أطلقها « مونتنى » فى القرن السادس عشر الميلادى ، وكانت وما تزال أوجع سخرية من عجز الإنسان وغروره الباطل : ماذا أعرف أو ماذا يمكننى أن أعرف ؟ ...

لا عجب إذن أن نجد هذا الكاتب يعترف فى مقال مهم سبق تأليفه للمسرحيتين التاليتين وعبر فيه عن رؤيته التى استخلصها من تجاربه

ومحاولاته المختلفة فى التأليف لمسرح العرائس والسينما والإذاعة المسموعة والمرئية والعروض والألعاب الدرامية المتنوعة ، وهو المقال الذى جعل عنوانه : خشبة المسرح هى المكان المطلق (١٩٦٢) : « المسرح فى نظرى نوع من التجربة » أنه المحاولة الدائبة لعرض الإنسان وإظهاره على خشبة المسرح ، الإنسان الذى يحيا الآن بكل ما يحركه ويقلقه ، وبكل ما يعمله وينتجه وما يقيده كذلك ويحدده . والأدوات التى أتوسل بها فى سبيل ذلك قديمة قدم المسرح ذاته : فهى استخدام القناع ، والخلط (الناتج عن سوء الفهم) ، وإبراز المظاهر المنعكسة ، وأسلوب المسرح فى المسرح . وهى جميعا تستغل لإظهار وجود الممثل على خشبة المسرح فى صورة رائعة ومثيرة للتساؤل فى الوقت نفسه ، وبذلك نتمكن من وضع أنفسنا - لأننا مشاركون كذلك فى التجربة - ووضع أحكامنا وقيمنا ومعاييرنا الاجتماعية وأخلاقنا موضع التساؤل » .. هذه العبارات أو بالأحرى الاعترافات القصيرة تكشف لنا عن الموقف المبدئى لهذا الكاتب من الواقع الشامل ، وهو فى صميمه موقف يعبر عن علاقته الدرامية أو « التمثيلية » به ، ويسرى مسرى الدم فى شرايين أعماله وأوردتها ، ويؤكد نزعتها النقدية الساخرة من روح العصر ، ومن البرجوازى الأوربى أو إنسان الطبقة الوسطى المتزمت الضيق الأفق الذى لا يكاد يشغله شئ فى حياته بقدر ما يشغله « الإنجاز » و «التملك» ، كما يبين محاولاته المستمرة فى تسليط الضوء على الحقيقة الإنسانية العارية البسيطة ، حقيقة الإنسان العادى أو « الإنسان الصغير » الذى كان على الدوام هو المحرك الفاعل للتاريخ والضحية الأولى والأخيرة له وللطغاة والمستبدين الكبار والصغار الذين تحكموا وما زالوا يتحكمون فيه .. من هنا كان همه الدائم هو تقديم الدراما الإنسانية - لا التاريخية أو الوثائقية ! - على خشبة مسرح إنسانى أو عالمى شامل ، فى عرض أو استعراض تمثيلى يمتع المشاهد العادى

ويدهشه ، وربما ينجح أيضا فى تغييره أو على الأقل فى البقاء فى ذاكرته ووعيه مدى الحياة ، لا سيما إذا نجح كما قلنا فى الكشف عن الحقيقة البشرية العارية من كل غطاء أيديولوجى أو فلسفى أو أخلاقى زاعق ، وفى دعوة هذا الإنسان إلى معرفة دوره والقيام به لإنقاذ الأرض - التى تندحر وتنحدر إلى حضيض الهاوية دون أن ننتبه لذلك ! وحثه على المشاركة فى إيقاف الكارثة التى يندفع إليها التاريخ ، وتهدد بتدمير الحياة وتخريب الإنسان بعد تجويعه وتعذيبه بفظاعة ووحشية دونها فظاعة الوحوش ...

* * * * *

ولد تانكريد دورست - مؤلف المسرحيتين التاليتين اللتين ترجع إحداهما لفترة مبكرة من حياته (١٩٦١) والأخرى لما قبل سنوات قليلة (١٩٩٢) - فى اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥ فى بلدة « أوبرلند » القريبة من مدينة « زونيبرج » بولاية تورنجن لأسرة يشتغل عائلها بالهندسة وصناعة الآلات . وقد توفى أبوه وهو فى السادسة من عمره ، ولم يكد يتم تعليمه الأولى والثانوى فى موطنه الأصلى حتى استدعى فى عام ١٩٤٢ - وهو بعد فى السادسة عشرة من عمره - للانخراط فى الجيش ، وعانى من أهوال الحرب العالمية الثانية التى كانت على أشدها فى ذلك الحين ، وتعلم الخشونة والصرامة والطاعة وروح العمل الجماعى ، كما تعلم كيف ينظر إلى الواقع المحيط به نظرة المراقب الذي يشك فى كل شئ ويسخر من كل طموح وهمى فاسد ، حتى وصل إلى الاقتناع ببطلان كل المشروعات العالمية الكبرى وهشاشتها (على نحو ما يعبر بعض أبطاله فى مسرحيته الفيلا - ١٩٨٠ - وهينريش أو آلام المخيلة - ١٩٨٥) وبعد أن تقلّب فى معسكرات الاعتقال فى بلجيكا وإنجلترا والولايات الأمريكية المتحدة حتى سنة ١٩٤٧ ، رجع إلى وطنه ، وحاول أن يستأنف دراسته فى بامبيرج ثم فى ميونخ ابتداء من سنة ١٩٥١ ، حيث أقبل على سماع المحاضرات

التى كـانت تلقى هـناك عن الأدب الألمانى وتـاريخ الفن وعلوم المسـرح . لكن ظروف حياته القاسية حالت دون إتمام دراسته ، فراح يبحث عن قـوته فى أعمـال مختلفـة ومهن متنوعـة أتاحت له الاقتـراب مـن بسطاء الناس والتـعرف على حياتهم وهمومـهم اليـومية : « كانت أحـوالى فى السنوات الأولى بالغة السوء .. كنت أجلس فى حجرتى الضيقة الصغيرة فى حىٍّ شفابينج (وهـو حى الفنانين المشهور فى مدينة ميونخ) وأكتب مسـرحيـات للعـرائس لم تُدرَّ علىَّ أى إيراد يذكـر . لم أسـتطـع فى ذلك الحين أن أتصـور كيف يمكن أن يكسب الإنسـان شـيـئـا من المال . ثم حصلت فى سنة ١٩٥٩ على جائزة من مسرح مدينة مانهايم الوطنى عن مشروع مسرحية كتبتهـا وهـى « مجتمع فى الخريف » ؛ فبدأت أحوالى منذ ذلك الحين فى التحسن . »

ولابد من الانتبـاه إلى أهمـية تلك الفتـرة التى قضـاها دورست فى مـيونيخ مع أوائل الخمسينات فى التـأليف لمسرح العرائس الذى كـان يعـرف باسم اللعبـة الصـغيـرة - وتأثيـرها البـالغ على حيـاته وإنتـاجـه وأسلوب كتابته المسرحية بوجه عام . فلا شك أن عمله فى ذلك المسـرح الذى شارك فى تأسيسه وإدارته وإخراج تمثيلياته فيه ، قد كان له أعمق الأثر على اختياره لموضوعاته من الأساطير القديمة والحكايات الشـعبية الشرقية والغربية ، والقصص والأمثولات والخرافات والحواديت التى تثير أحلام الأطفال الذين يتوجه إليهم كثيرا بخطابه ، كمـا يعلق عليـهم أمله الوحيـد فى إنقـاذ كـوكـبنا البـائس الصـغـيـر من أيدى السـادة الكبـار أصحاب المشروعات الضخمة ، وأمله فى تحقيق « اليوتوبيا » « (المدينة المثالية الفاضلة) التى ثبتت استحالتها وفشلها - كما سبق القول - ولم تعش حتى الآن وربما لن تعيش وتزدهر إلا فى خيال الأطفال والفلاسفة والأدباء ... والمهم من كل ذلك أن المسـرحيـات التـجـريبـية الصـغيرة التى كتبها دورست فى ذلك الحين مثل مسرحية « المنحنى » (١٩٦٠) التى

نقلها إلى العربية المرحوم الدكتور إبراهيم حمادة.ونشرها مع مسرحيات أخرى فى كتابه (أقنعة الملائكة) ومسرحية خطبة الإدانة – أو التشهير – الطويلة أمام سور المدينة (١٩٦١) التى تجدها فى هذا الكتاب ، ومسرحية القط ذى الحذاء أو كيف تُلْعَبُ اللعبة (١٩٦٣) أقول إن المهم من كل ذلك أن المسرحيات المذكورة قد تأثرت تأثرا مباشرا بكتابته لمسرح العرائس في تلك الحقبة القصيرة من حياته ، كما تغلغل تأثيرها أيضا بصورة غير مباشرة فى معظم ما كتبه حتى يومنا الحاضر .. وهذه المسرحيات التجريبية الساخرة التى ذكرناها تعبر عن تأثره بمسرح العبث أو اللا معقول من جهة ، وبالمسرح الملحمى وأساليبه المختلفة عند بريشت وبعض الكتاب الذين جاءوا بعده – مثل دورنمات وماكس فريش – من جهة أخرى ، كما أنها تستفيد من خبرته فى التأليف لمسرح العرائس والكتابة عنه (سر مسرح العرائس ١٩٥٧ ، ومحاولات عن مسرح العرائس ١٩٥٩) . والواقع أن الموضوعات التى طرقها فيها وعالجها بأشكال وتنويعات مختلفة ظلت تسيطر على بقية مسرحياته ، إذ نحس منها أن رؤيته للوجود ذات طابع تمثيلى ، كما نلمس محاولاته المستمرة لتقديم لعبة المسرح فى المسرح ، ونشاهد الكثير من الطقوس الخالية من أى معنى ، ونشعر باستحالة التواصل بين البشر الذين يضعون على وجوههم أقنعة لا يلبثون مع مرور الزمن أن يندمجوا فيها ويتحدوا بها بحيث يتعذر عليهم تمييز الوجه من القناع ، والدور الذى يؤدونه من الحياة الحقيقية التى يعيشونها ..

وفى عقدى الستينيات والسبعينيات تمرَّس بالعمل فى دور النشر والكتابة للسينما والإذاعة المسموعة والمرئية ، وترجم عن الفرنسية بعض مسرحيات موليير والكاتب الأيرلندى سين أوكيزى ترجمة جديدة ، كما ترجم وأعد للمسرح رواية مفكر عصر التنوير وأديبه المشهور ديدرو وهى ابن اخت رامو (التى سبق أن ترجمها لأول مرة شاعر الألمان الأكبر

جوته) وقد قضي سنة ١٩٧٠ كاتبا مقيما فى كلية أوبرلين بولاية أوهيو بالولايات المتحدة الأمريكية ، كما قام سنة ١٩٧٣ بالتدريس فى بعض الجامعات فى أستراليا ونيوزيلاندا . وربما كانت هذه المرحلة من حياته وإنتاجه قد مهدت لاهتمامه بعد ذلك بالموضوعات التاريخية التى راح يعرضها من زاوية البحث الدائب عن الحقيقة ، حيث تناول حياة عدد من كبار الأدباء الغربيين الذين توهموا أن الأدب يمكن أن يصنع ثورة ، وأن الكلمة يمكن أن تكون فعلا أو تنوب عن الفعل ، وكذلك بعض الأدباء الذين أدينوا بتهمة التعاون مع النازيين وتلويث أقلامهم وأيديهم بوضعها فى الأيدى التى تلطخت بالدم والوحشية . ولم يكن هدفه من ذلك هو فضح تلك الشخصيات ولا الصراخ بآراء وأفكار صاخبة عن الحقيقة والحرية ، بل اكتشاف أعماقهم الإنسانية ، وإثبات فشل الأدب والفن كليهما عندما يتصوران فى نفسهما القدرة على حل مشكلات الواقع أو السيطرة عليها . ولعل أبرز الأمثلة على ذلك هى بعض مسرحياته التي جلبت له شهرة عالمية ، كمسرحية « عصر الجليد » عن واحد من أكبر أدباء النرويج وهو كنوت هامسون (١٨٥٩ - ١٩٥٢) صاحب رواية «الجوع» الشهيرة ، ويقدمه دورست من خلال أحد عشر مشهدا تدور فى دار استشفاء أو مصحة للعجزة المصابين بالأمراض العقلية والعصبية ، وتعرض علينا شخصية هذا العجوز العنيد الواثق بنفسه ، والمستمسك بنزعته العدوانية الشرسة نحو المجتمع والناس والجيل الجديد الذى لعنه وأدان وقوفه مع أعداء بلاده من وحوش النازية (وقد ظهرت المسرحية فى سلسلة المسرح العالمى الكويتية - العدد ١٨٨ - فى ترجمة عربية ممتازة مع مقدمة جيدة ووافية) . وتذكر فى هذا الصدد كذلك مسرحيته « تولر » (١٩٦٨) عن أديب الحركة التعبيرية الألمانية والثائر الخيالى المتحمس والمنفصم عن الواقع وهو إرنست تولر (١٨٩٣ - ١٩٣٩)

الذى كتب مسرحيات مثيرة عن زحف جحافل الآلات والجماهير ، وشارك في قيادة ثورة قصيرة العمر عرفت باسم « ثورة ميونيخ » ، وأسست ما سُمِّى باسم « جمهورية اللجان الاشتراكية » التى لم تبق على قَيْد الحياة سوى أسابيع قليلة ....

وتتألف المسرحية من لوحات ولقطات استعراضية من الأحداث التى وقعت بين إعلان قيام جمهورية اللجان الاشتراكية وسقوطها فى سنة ١٩١٩ . ولم يكن هدف « دورست » من هذه المسرحية – كما قلنا – هو التوثيق التاريخى ، بل كان هدفه هو عرض مشكلة الالتزام السياسى الذى ينخرط فيه المثقف والفنان المبدع فى موقف زمنى وتاريخى محدد ، فيتصور أنه قادر على إبداع الثورة كما أبدع أعماله الفنية ، وأن الثورة يمكن أن تصبح فعلا خلاقا كالفعل الابداعى سواء بسواء .. والواقع أن حماس « تولر » واندفاعه الثورى ينسيانه ضرورة تنظيم الثورة أو إدارتها . ويصور المؤلف « تولر » فى صورة ممثل « يلعب » الثورة ، بحيث تصبح هذه الثورة نوعاً من الأدب ، ويحل الانفعال الأدبى محل التنظيم العملى ، وتعجز الشعارات الأخلاقية والطموحات المثالية عن حماية الثورة من أعدائها الذين هزموها واعتقلوا وأعدموا أعضاء لجنتها الذين كان معظمهم من الأدباء الذين لا يكفون عن الثرثرة والمناقشات والمحاورات وكأنهم فى مهزلة دموية ! والمهم أننا نخرج من هذا العرض المسرحى بأن الثورة التى يصممها الأديب لابد أن تنتهى بأن تكون هى الأخرى أدبا لا صلة له بالواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى يحياه الناس ...

وقد اشترك « دورست » فى هذه الفترة من حياته مع المخرج المسرحى الشهير بيتر زاديك فى إنتاج سيناريوهات أفلام ومسرحيات متنوعة تتناول الأزمات الاجتماعية وعجز المثقفين وتناقضاتهم فى التعامل

معها ، مثل الاغتيال الأحمر أو كنت ألمانيا (١٩٦٩) ، ورمل (١٩٧١) وعصر الجليد (١٩٧٣) وجونكورا وإلغاء الموت ١٩٧٧ » ، وهو يعمد فيها جميعا إلى إثارة المتفرج بدلا من وعظه ، وذلك مع افتراض نضج هذا المتفرج وقدرته على تحمل مسئولياته الأخلاقية . وقد تبعت ذلك سيناريوهات أفلام سينمائية وتليفزيونية متعددة منها دور وتيا ميرتس (١٩٧٦) ، وأم كلارا (١٩٧٨) وموش (١٩٨٠) بالإضافة إلى مسرحياته الألمانية التى يتناول فيها علاقته التمثيلية بالتاريخ المعاصر من خلال قصة حياته وحياة عائلته وموقفه النقدى من الواقع الاجتماعى فى ألمانيا منذ عهد جمهورية فَيْمار فى العشرينيات حتى أوائل السبعينيات من القرن العشرين ، مثل فوق الشيباروزو (١٩٧٤) والفيلا (١٩٨٠) وهينريش أو آلام المخيِّلة (١٩٨٠) . وأخيرا نذكر السيناريو الذى كتبه بعنوان « البستان المحرم » (١٩٨٣) عن شاعر إيطاليا الكبير جابرييل دانوننزيو (١٨٦٣ - ١٩٣٨) الذى اتهم بوضع يده فى أيدى الفاشيين، كما كان آخر دعاة البطولة والقوة والنشوة بالعنف والرعب سبيلا للانتصار المزعوم على الركود والضعف والموت ، وتحقيق « الخلود » الوهمى عن طريق عبادة الشعر والجمال اللذين يضيفان - فى نظر ذلك الشاعر الكبير المعتوه - غلالتهما السحرية المسمومة حول جسد الواقع والإنسان العادى والحقيقة العارية المباشرة والبسيطة ... وتذكر فى هذا السياق أيضا مسرحيته الشعبية التى تلجأ لأسلوب العرض أو الاستعراض الغنائى والموسيقى فى مناظر متتالية تشبه لقطات حية منتزعة من واقع الأحوال المعيشية البائسة خلال الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى اجتاحت أوربا فى الثلاثينيات وسبقت استيلاء النازيين على السلطة فى سنة ١٩٣٣ . والمسرحية التى نقصدها وهى « أيها الإنسان الصغير ، ما العمل الآن ؟ » مأخوذة مع عنوانها نفسه من رواية حققت شهرة واسعة فى تلك السنوات العجاف للأديب الواقعى

هـانز فالادا (١٨٩٣ - ١٩٤٧) الذى كتبها فى سنة ١٩٣٢ ، وظلت هى تاج إنتاجه الروائى الذى يكاد يدور حول موضوع واحد هو هموم الرجل العادى ومتاعبه وسط عالم يسحقه ويحبطه كل يوم ، ولكنه لا يستسلم أبدا لهذا الإحباط ، بل يفتح لنفسه فتحة فى جدار الواقع المظلم الصلب لينفذ منه ويرتفع فوقه ولو بأجنحة الحلم والخيـال . وقد عرض فيهـا دورست - على طريقة الكباريه أو الجريدة الغنائية والموسيقية - مشاهد ولوحات شديدة التنوع عن ألوان العذاب والضياع والمهانة التى يلقاها زوجان شابان ربط بينهما الحب الحقيقى وحاول عبثا حراس الحصار المطبق عليهما من ذئاب المال والأعمال أن يستغلوا جمال الزوجة وفقر الزوج فى تمريغهما فى الوحل وتلطيخهما بالعار ، ولكن الزوجين المحبين يفضلان فى آخر المطاف أن ينهيا مأساة جحيمهما الأرضى بالموت الإرادى - وربما غير الإرادى بسبب الجوع والإرهاق !- فيرتفعان معا كحمامتين حزينتين وغاضبتين إلى رحاب فردوس سماوى يعوضهما عن ظلم الأرض وبشاعة أهلها وخراب ذممهم ونظامهم الاجتماعى والسياسى الذى لم يستطع أن يوفر لهما الكفاف من خبز العدل والرحمة ...

والظاهر أن هذه الإعدادات السينمائية والاستعراضية المتنوعة لم تستطع أن تشبع طموحه لإنجاز عمل مسرحى كبير يضع فيه خبرته الطويلة وحنينه الدائم لأجواء الحكاية الشعبية وميله المستمر لمزج الماضى بالحاضر والخرافة بالواقع فى لوحات متتالية تحمل انتقاداته للحياة الاجتماعية والنفسية التى يكابدها الناس على أرض الواقع . ولهذا تجده يتجه فى سنة ١٩٨١ إلى كتابة عمل شامل استوحى مادته من الحكايات المشهورة فى العصر الوسيط - القرن الثانى عشر الميلادى - عن الملك آرتوس وفرسان المائدة المستديرة ، وهذا العمل الشامل هو مسرحيته الطويلة « ميرلين أو الأرض الخراب » - التى تتألف من سبعة وتسعين منظرا يستغرق عرضها ما يقرب من عشر ساعات فى ليلتين

متتاليتين ! - تدور حول موضوع أثير لدى المثقفين الساخطين منذ أفلاطون على أقل تقدير على واقعهم المتردى ، كما أثارته الأحداث الأخيرة بعد السقوط المدوى للتطبيق الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى السابق والدول التى كانت تدور فى فلكه ، وهو موضوع فشل اليوتوبيات (أو المدن المثالية الفاضلة) .. فالساحر ميرلين الذى كان مولده ثمرة الزواج العجيب لشيطان من عذراء ، يكلفه أبوه بأن ينزع من قلوب البشر الخوف من الشر . ولكن ميرلين يرفض القيام بهذه المهمة ، ويصمم على تجاربه مع الخير الكامن فى نفوس البشر ، وينجح فى إقناع الملك أرتوس بجمع أبطال العصر وفرسانه حول مائدته ليقيموا النظام العادل فى هذا العالم . غير أن صراعات الحقد والحسد القاتلة سرعان ما تدب بين فرسان المائدة المستديرة ، ويكتشف ميرلين أنه يقف على أرض خراب (إيماءً لقصيدة إليوت المشهورة) اختفى منها كل أمل فى العدل والخير ، وكل رجاء فى تحقيق اليوتوبيا على هذه الأرض ، كما يكتشف فى النهاية أنه حقق رغبة أبيه دون أن يدرى . ويودع ميرلين التاريخ البشرى كله بعد أن تأكد من غباء أبطاله وفرسانه الجوف : « لقد سئمت منهم جميعا ! لا أريد أن أرى أى واحد منهم ! لا الأخلاقى ولا الاشتراكى ولا الرأسمالى ولا البنيوى ! وتساعده حورية الغاب فيفيانه على أن ينفى نفسه بنفسه فى دغل شوكى كثيف يلوذ فيه بسكون الطبيعة وسكينتها الأبدية من فظائع التاريخ البشرى ، بينما يستمر الصراع خارج الدغل ، وترجع الآلهة الوثنية إلى حلبة القتال بعد أن طردها السيد المسيح فى بداية المسرحية ...

وفى النهاية نذكر فيلمه السينمائى « هانز الحديدى (١٩٨٣) الذى يدور حول عجز الناس ويأسهم فى إحدى المدن الصغيرة على الحدود مع ألمانيا الشرقية السابقة ، وكذلك « أنا فويرباخ » الذى يصور عجز الفنان

وسقوطه ضحية تناقضاته الذاتية التى تصطدم مع تناقضات مجتمع يفترسه القلق والإحساس العام بالرعب والخراب وطغيان الشر عليه إلى حد اليأس من إمكان الخلاص . وفى هذا الخط أيضا تدور مسرحية كوربيس (١٩٨٨) التى اعتمد فيها على إحدى الحكايات الشعبية القديمة .. بقى أن نقول إنه يعيش ويعمل منذ أوائل السبعينيات مع الكاتبة والمترجمة أورزولا ايلر التى شاركته فى كتابة عدد كبير من أعماله ، ومنها إحدى المسرحيتين التاليتين ...

* * * * *

ونأتى الآن إلى المسرحيتين أو بالأحرى اللعبتين المسرحيتين اللتين نقدمهما فى هذا الكتاب ، راجين أن نتمكن من النظر فيهما على ضوء المعلومات السابقة عن حياة مؤلفهما وأعماله . ونبدأ بالمسرحية الأولى التى وضع لها عنوانا مثيرا وغير عادى فى طوله : « خطبة الإدانة (أو التشهير) الطويلة أمام سور المدينة ..

ما إن ترفع الستارة عن المنظر الوحيد الممتدّ إلى نهاية المسرحية حتى نرى ونسمع امرأة صينية شابة وجميلة وفقيرة تقف أمام سور المدينة وتطلق استغاثتها المستميتة بالقيصر : أيها القيصر ، أيها القيصر . وربما تصورنا – بمعلوماتنا القليلة عن الصين الغامضة البعيدة ! – أن السور الذى يواجه المرأة ويواجهنا يمثل جزءا من سور الصين العظيم الذى لم يبن من أحجار فحسب ، بل من عادات وتقاليد وقيم وأخلاق تجمدت بمرور الزمن فصارت بدورها حجارة ثقيلة .. وقد نتخيل كذلك منذ البداية أن هذا السور يوحى بمعنى مجازى يدل على كل الأسوار التى تقف عقبة أمام الفقراء والمظلومين والمحرومين من أبسط حقوق الإنسان العادى فى شئ من الحرية والعدل والأمن والسعادة . ويتكرر هتاف المرأة باسم القيصر وسخرية الجنود والضباط الذين يتولون حراسته . ونفهم بالتدريج أن هذه الشجرة البشرية الخضراء

المنضرة بالفتنة والصحة والرغبة فى الحياة الطبيعية البسيطة تجأر بالشكوى لأب العائلة الصينية الكبرى من الغربان التى تريد أن تعشش على فروعها ، ومن الثعابين التى تحاول أن تتسلقها وتنهش لحمها الأخضر . لقد غاب زوجها عنها وطالت غيبته فتعرضت للوحوش الخبيثة المراوغة ، وعلى القيصر الذى أخذه جنوده منها عنوة أن يرده إليها لتحمى نفسها من الفتنة والغواية ، ولتحيا فى الحلال - كما نقول فى إطار ثقافتنا الدينية - مع زوجها الشرعى الذى نفهم أيضا أنه كان مجرد صياد سمك خامل وخائن وفاشل ، ولم يكن أبدا هو الزوج المثالى لامرأة فى مثل قوتها وفتنتها وحرصها على الحياة النظيفة الشريفة ..

ونحس أيضا منذ البداية أن الزوجة « فان شين تنج » تشعر بنوع من اليقين الداخلى بأن زوجها « هسوى لى » قد مات فى الحرب التى يخوضها القيصر الصينى جريا وراء أوهام المجد والبطولة والقوة والتوسع ، وأنها قد صممت على أن تأخذ زوجا آخر يعوضها عن الزوج المفقود مهما كان الثمن ، ومهما تعرضت للامتحان العسير لدى صدقها فى الزعم بأن الجندى الذى أشارت إليه من بين الجنود الذين يمرون أمامها من فوق السور هو نفسه زوجها الذى ذاقت معه من المر أكثر بكثير من الحلو .. وقد اشترط القيصر نفسه أن تدخل هذا الامتحان العسير قبل أن يسمح لها بالانصراف مع الزوج المزعوم ، وأن تظل رماح الجنود مصوبة نحو زوجها إذا ثبت فشله فى أداء دوره وعجز عن إثبات مصداقيته . أما الامتحان نفسه فيفرض عليها أن تدخل بكل قوة وحسم فى لعبة المسرح فى المسرح التى تجعلها تستعرض مشاهد مختلفة من حياتها وتجاربها مع ذلك الزوج البديل الذى اختارته وراحت تدفعه باستمرار لأداء الدور وتصحح أخطاءه الجسيمة التى يقع فيها

بحكم غبائه وعجزه الشديد عن مجاراة تلك الأنثى الطاغية التى وقفت منه موقف الملقن من ممثل ضيق الأفق بطئ التفكير ... بالإضافة إلى جبنه وكذبه !

وتتوالى أمامنا عروض التمثيل لمشاهد من حياة هذه المرأة الشابة الوحيدة ، زوجة الجندى السابق التى تكلم الجدران وتهتف فى الريح ، ومع ذلك تبحث عن الخروج من التمثيل بأى زوج ؛ لأنها تعرف فضائل الأسرة وتحرص على القيام بواجبات الزوجة .. ويشارك فى التمثيل ، أو بالأحرى يُستَدرج إليه ، اثنان من أصحاب السعادة وحضرات الضباط ، فيؤدى أحدهما مرة دور قاضى القرية الذى تخونه زوجته من وراء ظهره مع زوج المرأة ، ويؤدى الآخر دور تاجر الزيت الذى يطمع فيها ويستغل جوعها وفقرها وجمالها ووحدتها ليعرض عليها الزيت بسعر رخيص مقابل الانفراد بها فى كوخها الصغير الخالى . بل إن القيصر نفسه يشارك من بعيد فى اللعبة بإصدار أوامره وتسلية نفسه بالتفرج على لعبة هذه الفلاحة الفصيحة الداهية ، والظهور من حين إلى حين من فوق السور متدثرا بالقشور الذهبية التى تغطيه من رأسه إلى كعب قدميه ، وكأنه سمكة عظيمة تلمع فى شمس الصباح ...

ومع التدخل المستمر للضابط السمين والضابط النحيف فى مجرى العرض وفى سياق الحوار بين الزوجة المحرومة والزوج البديل الخائب ، ومع إدراك الضابطين اللذين يراقبانهما أن هذا الزوج مرتبك وبليد ، وأن معظم الكلام والفعل يتدفق من الزوجة التى تحاول إصلاح ما يفسده وإكمال التمثيل بأى ثمن ، تتابع المشاهد القصيرة من الحياة الماضية البائسة واحدا بعد الآخر : تعرف الزوجين على بعضهما عند النبع ومساعدة زوج المستقبل لها فى حمل الجرة أثناء سيرهما معا إلى بيت القاضى الذى تعمل فيه خادمة ، اكتشاف الزوجة أن زوج المستقبل على

علاقة خفية بزوجة القاضى الذى غادر البلدة على حماره لكى يقيم العدل بين الناس بينما الظلم والشر يجوسان فى بيته ويعبثان بشرفه وسمعته ، رجوع القاضى إلى بيته مسرعا بعد أن سمع الإشاعات المريبة وكيف تدخلت لإنقاذ زوج المستقبل المخادع من الشنق وتسترت على الفضيحة رغم كل شئ ، مشاهد من حياة الزوجين « الشرعيين » التى استمر شقاؤها أربع سنوات فى كوخها الفقير على شاطئ النهر ؛ حيث لا تطمع فان شين – تونج فى أكثر من الحياة فى سلام مع زوجها ، بينما يحلم هو بالانطلاق إلى مدن العالم فرارا من عش الزوجية الضيق الخانق .. فشل الزوج المزيف فى البقاء مع زوجته على سطح كوخهما وفى إبداء ذرة واحدة من الصبر على محنة الفيضان الذى أغرق كل شئ حولهما وتصميمه على الهرب منها ، بل اعترافه المفاجئ بأنه لم يكن زوجها فى يوم من الأيام ، تدخل الزوجة مرة أخرى لإنقاذ العرض الذى أوشك على التوقف واعتذارها بقلق زوجها وبحرصها على المحافظة عليه رغم كل تصرفاته ، نزول الرجال الذين يجمعون المتطوعين للحرب إلى القرية ونجاحهم فى أخذه معهم برغم اختفائه فى أحراش الغاب طوال الصيف وتصنته من موقعه على المحاولات الفاشلة لتاجر الزيت الأصلع الدنئ لاستغلال فقر زوجته بإقراضها بعض العملات النحاسية أو مساومتها على تأجيل سداد ثمن الزيت إكراما لطفها وفتنتها ونجاحها مع ذلك فى المحافظة على شرفها وسمعتها وبيتها رغم غياب الزوج ، مغالبتها لدموعها واستمرارها فى تمثيل دورها برغم إحضار الجنود للتميمة المعدنية التى عثروا عليها مع جثة زوجها الحقيقى وإنكارها لمعرفة ذلك الميت حتى تخرج من اللعبة ومعها زوج يسترها ، عودة الزوج المزيف للاعتراف بأنه كان مع الزوج الحقيقى عندما أرداه سهم نفذ فى عينه ثم تراجعه عن اعترافه رعبا من المصير الذى ينتظره وانخراطه بعد ذلك فى الدور الذى لم يتقن تمثيله ، تهور الزوج الذى يطعن تاجر الزيت انتقاما

لما تصور أنه شرفه المطعون ثم هروبه من الجنود الذين جاؤوا للقبض عليه وهروبه النهائى من خلف السور بعد اقتناعه بفشله فى تمثيل دور الزوج الحقيقى واقتناع الضابطين أيضا بفشل الزوجة فى مداراة غباء البديل برغم كل براعتها فى تمثيل دورها والتدخل المتواصل لإنقاذ اللعبة اليائسة ، وأخيرا تأتى محاولة الزوجة للاستغاثة بالقيصر الذى انصرف من ساحة الملعب بعد أن استمتع بالفرجة ... ولذلك لم يبق أمامها إلا أن تخمش السور الأخرس الكثيف - كالذئبة الجائعة الجريحة - بأظافر صرخاتها اليائسة من إمكان تحقيق العدالة عل الأرض ، ومن استحالة الحد الأدنى من السعادة والأمان للإنسان الصغير الذى تحوطه الأسوار من كل جانب .. وهكذا تتدافع لعناتها المحبطة الغاضبة على القيصر وزبانيته وطموحاته ومشروعاته ، وعلى كل الأخلاق والأفكار والقيم والتقاليد التى شاركت فى إقامتها وتدعيمها منذ أن كان سادة وعبيد ، وحكام ومحكومون ، وأغنياء وفقراء ، ومضطهدون مظلومون مستغلون يقاسون الأمرين من كل مضطهد ومستغل وظالم ، فى خطبة طويلة يختتم بها العرض ، وتنتهى معها اللعبة التى لم تزل مستمرة بأشكال أخرى أخبث وأدهى مما كانت عليه فى زمن قديم فى الصين القديمة ..

وينزل الستار على لعبة المسرح فى المسرح ، بينما يتردد صراخ المرأة المسكينة التى جربت كل ذكائها الفطرى فى اقتناص نصيبها القليل من العدل والاستقرار ثم فشلت فى التجربة ... وتتوغل صيحات المرأة المحتجة فى ضمائرنا وتسرى فى دمائنا مسرى الرصاصات العنقودية التى تتفجر فيها وتفجر معها كل ما توهمناه من إمكان الراحة أو الطمأنينة فى عالمنا المدنى الذى تطوقه أسوار الظلم والوحشية وقسوة الإنسان على أخيه الإنسان ... وتتحول الخطبة إلى دعوى اتهام طويلة لكل المسئولين عن عذاب الإنسان العادى أو الإنسان الصغير عبر جميع العصور وفى ظل مختلف النظم والمدن والمجتمعات والحضارات ، وداخل

كـل الأسـوار المادية أو الأسوار العقلية والقانونية والأخلاقية والروحية :
« أنتم يامن فـوق السـور ! أيها المطرزون بالذهب - يـاأصـحـاب القـوانين الجميلة والأخـلاق الجميلة - لم لا تفسـرون لى السـبب فى انتشار العـفن الفظيع فى العـالم كله ؟ ... وأنت أيـهـا السـور ! أيهـا السـور السـمـيك ! ابتعد ! ابتعد ! أيها السـور السميك العظيم القديم الغبى - أنا فان شين تينج أقف هنا تحـتك ... سـأظل ألطمك برأسى حـتى تتـهـدم ... إننى أكرهك ، أبصق عليك أضحك عليك ، ألعنك ، أنا أنا أنا أنا أنا ... »

ويدخل أحد الجنود المكلّفين بالحراسة ووجهه - كوجهى الضـابطين اللذين انصـرفا ضـاحكين - مـغطى بقنا ع . وتكتشف أنه هو نفسـه ذلك الرجل الذى حـاول أن ينتهز الفرصة ويستمتع بالهروب من قهر السلطة مع امرأة جميلة سعت إليه بقدميها ، كما حـاول عبثا أن يتقمص دور الزوج الغـائب إلى الأبد ، ثم لـم يلبث أن رجع إلى جمـوده وبروده وانضم مرة أخرى إلى جمـاعة السـور ليعود حجرا من أحجاره الغليظة ، ويضـع رقبته فى النير الذى أعدته له وللجميع ... ذلك أن أخلاق بناة ذلك السور، وغيره من الأسوار عبر العصـور ، قد استلبته ووضعته فى قـوالب قيمـها وتقاليدهـا « وأيديولوجيـاتها » الجاهزة على الدوام . وإذا كـان قد خـرج لفتـرة قصـيرة من هذه القوالب فى مـحاولة لاسـترداد هويته الإنسـانيـة ، فقد فشل فى أداء الدور ، وتنكب الحقيقة البسيطة من طول ما تغذى على الكذب المصنوع ، ووجد نفسه مضطرا للدخول من جـديد فى القـالب أو التابوت الذى احتواه ولم يزل يحتوينا جميعا بدرجات وأشكال مختلفة . وفى النهاية يمدّ الرجل المقنع حربته ويلكز بها الشـخصـية الوحيدة التى لم تضع على وجـهـهـا أى قناع وهــو ينهـرهـا قـائلا : « اذهبـى ! لن يسـمعك أحد ! » - وتقشـعر المرأة فزعاً وتحدق فيه صامتة ، ونقشـعر

نحن أيضا من رعب الأسوار الظاهرية والخفية . وربما خرجنا من اللعبة المرة وبين جوانحنا شئ من العزم - أو حتى النية الطيبة ! - على تحطيم الأسوار ، كل الأسوار ...

* * * * *

إذا كانت المسرحية السابقة - التى ترجع ، كما قلت ، لفترة مبكرة من إنتاج دورست (١٩٦١) - قد سلطت الضوء على الحقيقة العارية البسيطة للإنسان العادى أو « الإنسان الصغير » الذى يطالب بمكان أمن ونظيف تحت الشمس ، فإن هذه المسرحية المتأخرة (١٩٩٢) قد خاطرت بوضع هذا العنوان الفرعى تحت اسمها : « محاولة للكشف عن الحقيقة . » ويتبادر إلى أذهاننا السؤال المركب من أسئلة لا حصر لها : ما هو تصور المؤلف للحقيقة ؟ وما الذى فهمه من أبعادها وزواياها الكثيرة كثرة حيرت الفلاسفة والمناطقة والعلماء والأدباء على مر العصور ؟ وما نوع الحقيقة التى يبحث عنها ، وما الفرق بينها وبين الواقع بالنسبة لكاتب يؤكد أنه واقعى ؟ ..

لنؤجل النظر فى هذه الأسئلة العويصة - التى تفتح الأبواب لتفسيرات واحتمالات وافتراضات لا آخر لها ! - حتى نفرغ من إلقاء نظرات أخرى سريعة على هذه اللعبة المسرحية الجديدة والشخصيات المشتركة فيها سواء أكانوا ضحايا أم جلادين ...

واللعبة التمثيلية تدور حل شخصية رجل مستبد بقوته وثروته يصمم على الزواج من امرأة فاتنة الجمال وينفذ بسطوته وجبروته ما قد صمم عليه . وتتم الزيجة وتتطور بصورة غريبة . فرجل الأعمال الموضوعى البارد لا يكترث كثيرا بزوجته ، بل يضنُّ عليها من أول المسرحية إلى آخرها بالعبارة الوحيدة التى كان من الممكن أن تجعل للزواج معنى ، وهى أنه يحبها . وتميل الزوجة الحساسة إلى الذوق المثقف الحساس مثلها تجد عنده مايستحيل أن تجده عند الزوج العملى الذى اشتراها

بماله وتصور أنه ضمها إلى أملاكه وأشيائه التى يتحكم فيها كما يشاء . وتعترف الزوجة فى لحظة كبرياء بأنها تعشق الدوق ، وأنها فعلتها معه مرات عديدة لا مرة واحدة . ويجن جنون فرناندو كراب الواقعى العاقل فيدبر خطته الشيطانية التى تودى بجوليا إلى الجنون ثم إلى الموت البطئ أو الانتحار الصامت . لقد نجح الرجل فى « استلاب » زوجته أو « تشييئها » كما يعبر فلاسفة الاغتراب ، ولكنه انجرف دون أن يدرى أو يقدر إلى داخل الدوامة المسرحية التى اصطنعها بنفسه وأحكم نسج خيوطها الأخطبوطية الشريرة . وفى المشهد الأخير نفاجأ بالجلاد وقد صار هو الضحية ، إذ يتفجر شلال الاعتراف بحبه للزوجة المحتضرة مكتسحاً كل السدود والأغلال التى حبسه وراءها ، وتتدافع الدموع والصرخات بعد فوات الأوان لنكتشف من شظايا مراياها المهشمة كيف تجاهل وخان أقرب الحقائق إلى الإنسان ، وهى حقيقة قلبه ...

أما شخصية جوليا فهى أكثر تركيبا وتعقيدا وأبعد ماتكون عن شخصية زوجها ذى البعد الواحد ... إنها تقبل منذ البداية أن تكون سلعة تشترى وتباع فى سوق الزواج رحمة بأبيها الذى هددها بأن يشنق نفسه إن لم توافق على العرض المغرى . وبالرغم من ثورتها الغاضبة فى البداية ، ومن ثوراتها اللاحقة فى وجه الغرور والخيانة والقسوة والجبروت والتهديد التى تبرز كالقسمات الواضحة المحفورة على وجه زوجها ، فإنها تبقى حتى النهاية شيئا جميلا عاجزا عن إثبات ذاته أو حتى الانتقام لكرامته المهانة (إزاء فحش زوجها مع إحدى الخادمات فى مزرعته وتباهيه بذلك وكأنه شئ عادى من الحياة العادية لرجل فى مثل قوته وتسلطه وغناه .) وهى تتمنى أن يقول لها مرة واحدة إنه يحبها – كما فى المشهدين الثانى والرابع عشر والأخير – كما تحاول سُدًى أن تعرفه أوتعرف شيئا عن طفولته وشبابه ، بل تتمنى لو شعر مرة واحدة بالغيرة عليها فانفعل وانتقم بسببها (المشهد السادس) :

- المهم أنك ضربته بسببى ،

- بسببك ؟ شئ مضحك .

وتحاول كذلك عبثا أن تعرف حقيقة مشاعره نحوها فتواجه بمخلوق فظ مجرد من كل عاطفة (المشهد السابع والمشهد الرابع عشر) :

- ولكن هل تعتقد أنى أحبك ؟

- ليست المسألة مسألة اعتقاد - هذا هو الواقع !

وحتى عندما تنفجر في اعتراف كاذب ومتعمَّد بأنها تعشق الدوق وتخون زوجها معه ، فإن ردَّه الوحيد عليها هو الانفجار فى الضحك . وحين تؤكد له أنها خانته بالفعل وتسأله إن كان سينتقم لنفسه بقتلها أو خنقها - كما سبق له أن خنق زوجته المكسيكية الأولى - لا يكون ردُّه إلا ببركان الضحك المخيف (المشهد السابع) وبعباراته القاطعة كحد السيف بأن ذلك ليس صحيحا كما أن إشاعة قتله للمليونيرة العجوز ليست صحيحة كذلك . وبعد قليل يؤكد أن بيته ليس مسرحا ، وأنهما لا يمثلان مسرحية ، وذلك فى نفس الوقت الذى يدبر فيه مسرحيته الشيطانية التى يثبت بها جنون زوجته ، ويشترى الدوق الحساس ، ويفتعل لعبة الطبيبين المعالجين ثم يمعن فى اللعبة الجهنمية كأنه ساحر أو منوم مغناطيسى يتحكم فى الوسيط ويأمره فيستجيب حتى لما يستحيل فيه الأمر وتتعذر الاستجابة . لقد نجح السينارست أو المدبر لعملية « غسيل المخ » فى أن يوقع فى وهمها - إلى حد الاقتناع المؤكد ! - بأنها تحبه ، وبأن اعترافها السابق بحبها للدوق المسكين لم يكن إلا زلة لسان أو نوبة جنون محموم تستحق الاعتذار عنها وطلب الصفح من الحبيب الرومانسى الخائب ... وتتكشف النتيجة عن الذروة التى نلقاها فى المشاهد الأخيرة : فالحب الكاذب المفروض عليها لا ينجح إلا فى تدميرها خطوة فخطوة ، والتنكر للذات أو للقلب أو للحقيقة

لا يؤدى بالزهرة الناضـرة المتـلألئـة إلا إلى الذبول والانطفـاء . وعندمـا يحمل فرناندو كراب الجسد الواهن الخفيف خفة الرماد وهو يصرخ بحبه ويؤكد فى الوقت نفسه أنه لن يسمح بالتنازل عما يملكه حتى للموت ذاته .. ، عندها يكون الحكم العادل بالانتقام العادل قد سقط على رأسهما معا ، فتلفظ الجميلة أنفاسها الأخيرة ، ويكفر المستبد الفظ والنرجسى الصادى – الذى طالما ردد كلمة أنا الملعونة ! – عن تنكره للحقيقة بقطع شريان يده وسقوطه جثة هامدة إلى جوارها ...

* * * * *

ونعود للسؤال أو الأسئلة التى سقناها فى بداية الحديث عن هذه اللعبة المسرحية الدامية : ما هى الحقيقة التى يحاول الكاتب أن يكشف عنها ؟ وأى بعد من أبعادها الكثيرة يريد أن يسلط عليه الضوء ؟ هل استطاع أن يقربنا من تلك الحقيقة العارية البسيطة – التى وصفناها بأنها هى حقيقة القلب الإنسانى النابض بالحب الحقيقى – أم تملصت منه هذه الحقيقة فاحتجبت وتخفت مثل حقيقة الوجود التى زعم الفيلسوف هيدجر (١٨٨٩ – ١٩٧٦) أنها تتأبى علينا وتظل غائبة عنا ، وكلما تصورنا أننا اهتدينا إليها ضاعت منا فى الحقائق الجزئية للموجودات والمجالات الجزئية ، ولم يتجل للعين البصيرة ولا للأذن المصغية إلا بصيص خافت من نورها الأصلى فى كلمات الشعراء العظام وألحان الموسيقيين الكبار وأعمال المبدعين ؟ ...

أغلب ظنى أن الكاتب لم يقصد إلى شئ من هذه المعانى الفلسفية ولم يكن فى حاجة إلى ذلك (على الرغم من إمكان التسليم بوجود ظلال من هذه المعانى الكامنة فى كتاباته من خلال قراءاته الواسعة) .

ولعله كذلك لم يقصد إلى أى تعميم نظرى يمكن أن نقع فيه بسهولة حين نتصور أن فرناندو كراب هو نموذج للشخصية الأوروبية التى تحاول على مدى أربعة قرون منذ عصرى النهضة والتنوير وحتى اليوم أن

تهيمن على كل شئ في الطبيعة والإنسان وتغزوه وتتملكه . وحتى الدلالات الضمنية الممكنة لشخصية رجل الأعمال المتجبر على شخصية البرجوازى الأوربى المتزمت والمتغطرس بقدرته على امتلاك كل شئ وإنجاز كل فعل وإخضاع أى حقيقة - بل الحقيقة نفسها ! - لسيطرته ، يمكن أن تكون مجرد تكهنات تفسيرية نلجأ إليها أو يلجأ سوانا إلى غيرها حسب ثقافته وذوقه وأسلوب قراءته للنصوص . على أن الشئ الذى يمكننى قوله وأستند فيه إلى الشعور قبل كل شئ هو أن هذه اللعبة المسرحية تريد - كما أرادت اللعبة السابقة ! - أن تنبهنا إلى حقيقة غاية فى البساطة ، وهى أننا نحن البشر - سواء فى الغرب المتقدم المغرور بعلمه وصناعته أو فى الشرق اللاهث وراءه أو وراء التقدم والمستقبل المرسوم له سلفا ! - أننا نحن البشر نتجاهل الحقيقة الإنسانية المباشرة ، أى حقيقة الحياة البسيطة المباشرة المرادفة للحب والمستحيلة بغير الحب . وتجاهلنا لهذه الحقيقة القريبة البعيدة فى آن واحد يجعلنا ننخرط - بدرجات وأشكال مختلفة - فى لعبة خداع النفس والتدليس عليها التى انخرط فيها « فرناندو كراب » وحشد لها كل وسائله الخسيسة للوصول إلى الغاية التى لا تقل عنها خسة : وهى السيطرة والتسلط والقوة والتملك (لما سبيل للوصول إليه إلا بالحب والتفهم والتعاطف والمشاركة !) وحتى إذا بررنا الغاية بمنطق مكيافيللى، فلابد أن نسأل وما الذى يبرر الوسائل المنحطة ؟ - هل يمكن أن يكون الطريق إلى قلب المرأة الجميلة - أى إلى قلب الحياة - مفروشا بأشواك الكذب والتآمر وفرض الهيمنة والنرجسية والصادية ..... إلخ ؟ .

إن المصير الفاجع الذى لقيته « جوليا » ، والمصير العادل الذى فاجأ « فرناندو كراب » لجديران بأن يحملانا على التفكير الجدى فى حياتنا - ولعل كلامنا يسأل نفسه بعد قراءة هاتين المسرحيتين : هل اقتربت من حقيقتى كإنسان ؟ وهل أسير على أقل تقدير على الطريق الصحيح المؤدى إليها ؟

عبد الغفار مكاوى

تانكـــويـــد دورسْـــت :

خطبــة الإدانـــة الطويلـــة

أمــام ســـــور المـــدينـــة

خطبة الإدانة الطويلة
أمام سور المدينة

الشخصيات :

- زوجة شابة
- جندى
- ضابط نحيف
- ضابط سمين

(المنظر : أمام سور المدينة)

(امرأة شابة تقف أمام السور العظيم وتهتف ..)

المـــــرأة : أيها القيصر ! أيها القيصر ! أيها القيصر ! أيها القيصر !

الضابط السمين : (صوت من اعلى السور) امرأة تريد أن تكلم القيصر !

(تسمع ضحكات فى أعلى السور . سكون)

المـــــرأة : أيها القيصر ! أيها القيصر ! أيها القيصر ! انظر إلىّ !

الضابط السمين : (صوت) امرأة تريد أن تكلم القيصر .

الضابط النحيف : (من اعلى السور) ماذا تريدين من القيصر ؟

الضابط السمين : (صوت) ماذا تريدين يا امرأة ؟

المـــــرأة : أنا زوجة الجندى هسوى لى .

الضابط السمين : (صوت) وأين هو ؟

الضابط النحيف : (صوت) ألا يحتمل أن يكون قد مات ؟

المـــــرأة : لا تحاولوا إخفاءه . إنى أعلم مكانه . فهو يشارك فى حراسة البوابة الجنوبية.

الضابط النحيف : (صوت) هل يعرف هنا أحد من الضباط الجندى هسوى لى ؟

الضابط السمين : (صوت) الذى تركع امرأته أسفل السور .

الضابط النحيف : (صوت) امرأة جميلة حقا .

المـــــرأة : لاحظوا ياحضرات الضباط أننى مازلت شابة . هل رأيتمونى وأنا أجتاز الشارع جريا على قدمىّ وأعبر حقل الذرة فرارا من الفلاحين الذين كانوا يطاردوننى ؟ ومع ذلك لا أشعر بالتعب وأنا أقف

أمـام السور ؟ انظروا إلى ذراعى . إنهـما قـادرتان على حمل دلوين وقـادرتان على القبض على رجل قوى . فى استطاعتى أن أمـسكه بإصبعين أو بثلاثة أصابع بحيث يتعـذر عليه الإفلات منى . وإذا كنتم تستطيعون أن تطلوا على بأبصـاركم الحادة كالصقور التى ترقب الحـمـلان ، فلابد أنكـم ، ياأصحـاب السعادة وياحضـرات الضباط ، لابد أنكم تلاحظون أن وجهى خال من التجاعيد ،وأن عينىّ سوداوان ، تحت الحاجبين : ماكرة أنا ، وشديدة الفتنة .

الضابط الـنحيف : (صوت) ماذا تريد ؟

الضابط الـسمين : (صوت) ماذا تريديـن أيتها المرأة ؟ أترغـبين أن أنزل إليك ؟ يمكننا أن يستمتع كل منا بالآخر .

المـــــــــــرأة : أريد أن أرى القيصر . علـيه أن يعيد إلىّ زوجى . زوجى الذى يخدم مع الجنود .

الضابط الـنحيف : يخدم مع الجنود ؟ إذن فهو بخير .

الضابط الـسمين : (صوت) أجل هو بخير ياامرأة . يجـد الكساء الجيد والطعام الطيب . كما يحلو فى أعين النساء .

المـــــــــــرأة : لكننى لست بخير يا أصحـاب السعادة ، ياحضرات الضباط . آه لو عرفـتم حالى . أنام الليالى الطويلة وحيدة فى فراشى ، أنا زوجة الجندى هسوى لى . أكلم الجـدران ، أهتف فـى الريح ، هذا هو مـا أفعله .

الضابط النحيف : (صوت) يجب أن تتعودى على هذا ياامرأة . . ألا يشرفك أن يصبح زوجك أحد جنود القيصر ؟

المـــــــرأة : بالطبع يشرفنى هذا ياأصحاب السعادة . لكن ماذا يجديني ؟ سوف أخونه . وأنا امرأة تعرف فضائل الأسرة وواجبات الزوجة . ولكن إذا لم يرجع إلىَّ فسوف أخونه .

الضابط النحيف : (صوت) إذا كان قد تطوع بمحض إرادته ، فما الذى يدعوه للرجوع ؟

المـــــــرأة : لقد أخذه القيصر . أعرف هذا تمام المعرفة . هذه هى الحقيقة . وعلى القيصر أن يسلمه لى . أيها القيصر ! أيها القيصر ! أيها القيصر !

الضابط السمين : (صوت) مازلت تنادى على القيصر .

الضابط النحيف : (صوت) هل يعرف القيصر الجندى هسوى لى ؟

(ضحكات)

الضابط السمين : (صوت) هل يعرف أحد منكم الجندى هسوى لى ؟

الضابط النحيف : (صوت) أليس من الممكن أن يكون قد مات ؟

(سكون)

المـــــــرأة : أنا أعرفه . وسط ظلام الليل الدامس أعرفه . رائحة السمك تفوح منه ، صوته معبأ بالدخان ، فقد اعتاد أن يدخن أوراق السمسم وعيدان القنب ، وهذا بطبيعة الحال شئ لا يروق أنوف حضراتكم الرقيقة . وإذا ضحك ، استطاعت أذنى أن تميز صوته من بين ثلاثين جنديا .

الضابط السمين : (صوت) تقول إنها تعرف زوجها الجندى .

(ضحكات)

المـــــــــــرأة : لا . . ليس واحـــدا من هـؤلاء الذين أراهم فـــوق السور . أيها القيصر ! أيها القيصر !

الضابط النحيف : (صوت) سوف يسمع القيصر صراخها . هيا نقتلها !

الضابط السمين : (صوت) صبوا الزيت المغلى .

المـــــــــــرأة : أيها القيصر !

الضابط النحيف : (صوت) إذا لم تسكتى فسوف نصب عليك برميلا من الزيت المغلى .

الضابط السمين : (صوت) القيصر قادم !

المـــــــــــرأة : (مفزوعة) إننى أرى القـيصر ، أراه بـعينى . مـتدثرا بالقشور الذهبـية من رأسه إلى كعوب قدمـيه . كأنه سـمكة تلمع فى شـمس الصبـاح . لقـد جـاء من أجلى . وأنا أرتجف من الخوف . سألقى بنفسى فى التراب .

الضابط السمين : (صوت) القيصر يســألك إن كنت تستطيعين أن تعرفى زوجك من بين الجنود .

المـــــــــــرأة : سأعرفه على الفور عندما تكون الشمس فى ظهرى .

الضابط السمين : (صوت) القيصر يريد أن يختبرك . وقد أمر جنوده بأن يصطفوا فوق سور المدينة . انظرى إليهم وحاولى أن تتعرفى على زوجك .

المـــــــــــرأة : وإذا عرفته ؟

الضابط السمين : (صوت) سيسمح له بالذهاب معك .

المـــــــــــــرأة : هل تتعهدون بهذا ؟

الضابط النحيف : (صوت) ألا تثقين بنا ؟

المـــــــــــــرأة : (مصممة) لا ترددوا ! لا تضيعوا الوقت !

الضابط النحيف : (صوت) ايتها المرأة . الآن تسير أمامك الفصيلة التى دافعت أمس عن البوابة الجنوبية .

(يسمع صوت أقدام الجنود فى سيرهم اعلى السور دون أن تتمكن المرأة من رؤيتهم)

المـــــــــــــرأة : أربعة ، خمسة ، ستة ، الدروع والخوذات تسطع فى ضوء الشمس . لا أتبين وجهها واحدا . الجميع يتحركون حركة واحدة . كيف يتسنى لى أن أعثر بينهم على زوجى ؟

الضابط النحيف : (صوت) تقدمى أيتها المرأة . ماذا تنتظرين ؟

المـــــــــــــرأة : ما أشق هذه المهمة ! ولكن هذا الذى أراه هناك يتبع الآخرين بصعوبة ، يبدو عليه أنه يفكر أكثر منهم . إنه هو ! .

(ضحكات)

الضابط النحيف : (صوت) وها هو لك !

(تلقى عليها دمية من القش . الجنود يتضاحكون)

المـــــــــــــرأة : (غاضبة) أيها الغشاشون ! أيها القتلة السكارى المأجورون ! إنكم تهزأون بى !

الضابط السمين : (صوت) اهدئى ياامرأة !

المـــــــــــرأة : (فى خضوع) أسأل سعادتك العفو والمغفرة . لقد قصرت فى تقديم الاحترام الواجب .

الضابط النحيف : (صوت) لعل زوجك هسوى لى قد سقط فى المعركة ؟

المـــــــــــرأة : أؤكد لسعادتك أنه كان قويا موفور الصحة .

الضابط النحيف : (صوت) سقط عدد كبير من الجنود عند البوابة الجنوبية وكانوا كذلك أصحاء وأقوياء .

المـــــــــــرأة : إنه يعلّق حول رقبته سلسلة بها لوح معدنى صغير يحميه .

الضابط النحيف : (صوت) دعى خرافاتك للعجائز !

المـــــــــــرأة : اسمى فان شين - تينج محفور على اللوح ، وسوف يردونه إلىّ إذا كان زوجى قد سقط .

الضابط النحيف : (صوت) الموتى الذين سقطوا أمس لم يجردوهم بعد من ملابسهم .

الضابط السمين : (صوت) أظهر القيصر عطفه السامى عليك . فقد أصدر أوامره باستعراض الجنود الذين يحرسون جانبى البوابة الجنوبية . وإذا كان زوجك لم يسقط ، فلابد أن يكون بينهم .

المـــــــــــرأة : أتقدم للقيصر بالشكر وأنحنى أمامه فى خشوع .

(الجنود يزحفون أعلى السور دون أن تراهم المرأة)

المـــــــــــرأة : ثمانية ، تسعة ، عشرة ، أحد عشر - ما أكثر عددهم ! خمسة عشر . الجميع يلبسون الدروع

الثقيلة والخوذات . كيف أميز زوجى من بينهم ؟
هذا الذى هناك يرجع حافة خوذته للوراء - هسوى
لى ! لقد كنت تشعر دائما بأن الحر شديد حتى ولو
لبست قميصا من الكتان - إنه هو !

الضابط السمين : (صوت) أيهم ؟

المـــرأة : (تشير إلى أعلى بحركات عنيفة) إنه هو ! هو !

الضابط النحيف : (صوت) أأنت هسوى لى ، زوج المرأة التى تقف هناك
أسفل السور وتطالب بك ؟

الجـنـدى : (صوت) نعم أنا !

المـــرأة : انزل ياهسوى لىّ ! اخلع خوذتك لنبيعها فى
المدينة . واملأ فمك بحفنة من الذرة ، فأمامنا
طريق طويل .

الجـنـدى : (صوت) أريد أن أنزل إليك . ولكنى لا أستطيع .

المـــرأة : (بقوة) قلت لك انزل ! - أتوسل إليك ياصاحب
السعادة أن تصفح عنى . إننى ألقى بنفسى فى
التراب أمام القيصر الجليل . لكننى امرأة شابة -
وأنتم تدركون ، ياأصحاب السعادة وياحضرات
الضباط المحترمين ، أننى أريد زوجى . هيا انزل
ياهسوى لى، ماذا تنتظر ؟

الجـنـدى : (صوت) لا أستطيع .

المـــرأة : جبان ! عبد تعس ! ألا تسبق غيرك فى الجرى عندما
تخلع حذاءك ؟ ألا تفهم كيف تنحنى عندما يصوبون
السهام نحوك ؟

الجـــــــنـــــــدى : (صوت) لا أستطيع .

الضابط السمين : (صوت) اسمعى أيتها المرأة ! إن القيصر الذى يطل عليك من عليائه يبدى عطفه السامى عليك . وهو يقول : يجب على الجندى أن يذهب معك . ولكن يتحتم عليكما قبل ذلك أن تقنعانا بأنه هو زوجك الشرعى وأنك زوجته الشرعية .

الضابط النحيف : (صوت) سوف نراقبكما مراقبة دقيقة . وإذا تبين أنكما خدعتما القيصر فسوف يقتل الجندى وتطاردين وراء النهر . فهمت ؟

الضابط السمين : (صوت) هل وافقت على هذا الشرط ؟

المـــــــــــــرأة : انزل ياهسوى لى ياروجى الشرعى الذى قسم لى ، نريد أن نبين للقيصر الجليل كيف عشنا معا أربع سنوات ، أم أنك يا زوجى خائف ؟

الجـــــــنـــــــدى : (صوت) أنا قادم .

الضابط النحيف : (صوت) انتظر أيها الجندى . أين السلسلة ذات اللوح المعدنى التى أعطتك إياها زوجتك عندما تطوعت فى الحرب ؟

الجـــــــنـــــــدى : (صوت بعد فترة صمت) ليست معى .

المـــــــــــــرأة : (تتدخل بسرعة فى الحديث) باعها ياصاحب السعادة . إننى أعرفه ، باعها فى مقابل ثلاث صحاف حقيرة من الأرز . هذا هو طبعه .

الضابط النحيل : (صوت) فكر فى الأمر مليا ياجندى . لم يزل فى إمكانك التراجع . وسنترك بوابة السور مفتوحة طالما استمر اللعب .

المـــــــــــرأة : لن تأخذوه منى مرة ثانية ياصاحب السعادة . ما بقى حيا فلن تأخذوه منى .

الضابط السمين : (صـــوت) لا تتـعجـلى ياامرأة . لنـنتظر وسنرى من يكسب فى النهاية .

الضابط النحيل : (صوت) والآن انتبهى ياامرأة ! انتبه ياهسوى لى ! إن القيـصر يسـتمـتع بالنظر إليكما من أعلـى السور . ورماح الحـراس مسددة إلى صــدر هسوى لى . لن تستطيعا الفرار . سوف نرى إلى أين تنتهى الحكاية .

المـــــــــــرأة : (لنفسـها) آه ! كم أخاف على نفسـى من الرماح ومن نظرة القيصر . فـأنا لا أعرف هذا الرجل الذى يهبط إلىّ من الســور ولم أره أبدا . لكن مـــادام زوجى الشرعى لم يظهر إلى الآن فلن يرجع مطلقا ، ولهذا صممت أن آخـذ هذا الرجل الآخر . لابد أن أكون حريصة فى الكلام معه حتى لا يهرف بالباطل . وما دام قد جـاء إلىّ بإرادته ، فعلى أن أتشـجع وأخاطر بأداء هذه اللعبة الخطرة التى فرضها حضرات الضباط على . أخذ القيصر منى رجلا ، ولابد أن يعيد إلى رجلا آخر . .

الـــــــرجـــــــل : (يدخل وهو يكلم نفسـه) أنا خائف على نفسى ، لأنى لا أعـرف المرأة التى تقف هناك . سـوف يقـتلوننى إذا لاحظوا أننى لا أنتمى إليـها ولا هى تنتمى إلىّ . إن بشاعـة الخدمة فـوق السور هى التى تشـجعنى على المغامرة باللعبة الخطرة .

الضابط النحيل : (صوت) لماذا تقفان هكذا بعيدين كل عن الآخر ؟
المـــــــرأة : فرحة اللقاء العظيمة ، ياصاحب السعادة ، هى التى تحبس الكلمات وتشل الحركات .
الـــرجـــل : زوجتى !
المـــــــرأة : هسوى لى ، زوجى !

(يتبادلان التحية ، يدخل الضابطان من فتحتين فى السور ، لابسين دروعا وخوذات على شكل أقنعة تظهرهما فى صورة مهولة تبث الرعب فى القلوب . يجلسان على منصة الدرج كأنهما قاضيان فى محكمة ..)

الضابط النحيف : (صوت) انتبهى يازوجة الجندى هسوى لى ! كيف كان الحال عندما تعارفتما لأول مرة ؟
المـــــــرأة : (للرجل) كنت كسولا .
الـــرجـــل : كسول ؟
المـــــــرأة : كسول مثل كيس محشو بقش الذرة ، مثل غصن مقطوع فوق مياه النهر ، كسول مثل القاضى فى قريتنا (للضباط) إذا أذنتم ياأصحاب السعادة بهذا التشبيه البعيد عن اللياقة - ألم تجلس هناك على شاطئ النهر وتبصق فى الماء ، بينما الأسماك تنظر إليك ، وأتيت إلى البيت ومعك سلة فارغة وثرثرة مزعجة ؟ مع أن يديك خفيفتان مثل سمكتين . أليس الأمر كذلك ؟
الـــرجـــل : أجل . . . ولكن كانت لى . . . وجهة نظرى ياامرأة .

المـــــــــــــرأة : « تعالوا انظروا ! هأنذا قد صرت سمكة بشوكة تقف فى حلق وزير العـدل » . هكذا رحت تصيح بـهذه الكلمـات الكافـرة . « تعالوا انـظروا ! إذا فتـحت جوف هذه السمكة فـماذا أجد فيه ؟ مرسـوم تعيينى وزيرا للمـالية . انتظروا قليـلا ، وسوف أصـدر أنا القوانين » . آه . ! هذا هو زوجى الذى يفغرفاه عن آخـره . وكـأن العـالم يسـمح بإصـلاح كل شئ . والبنات الغـبيات اسـتمـعن إليك عند النبع ، أليس كذلـك ؟ وعندما اسـتمـعن إليك رحن يقلن : ولد يعصر الواحدة منا عصـرا فوق العشب . يزرع حقل ذرة كامل فى يوم واحد . أما ما يفعله بالليل . .

الضابط السمين : وماذا تفعل ياهسوى لى !

الـــــرجــــــل : (متلعثما) أنا . . ؟ أرجوك ياصاحب السعادة . . .

المـــــــــــــرأة : نعم ، لن يـتكلم عن هذا . . لـن يسـتطـيع الكلام عنه . كـانت زوجـة القـاضى تعـرف ، ياصـاحب السعادة ، ما يفعله بالليل ، كانت تعرفه أكثر منى ، أنا الخادمة المتواضعة فى بيت القاضى .

الضابط النحيف : والقاضى ؟

المـــــــــــــرأة : لتحـمنى الآلهة من الإساءة إلى موظف مـرموق من رجال العدالة . كان يغط فى النوم .

الضابط السمين : (للـرجـل) وزوجـة القاضى ، ياهـسوى لى ؟ كـيف كـانت ؟

الـــــرجـــــل : كـانت . . . الإنسـان ينسـى كل شئ ، ياصـاحب السعادة .

الضابط السمين : (ضاحكا) يالها من إجابة !

المـــــــــــرأة : ولكنك قابلتنى عند النبع ، ياهسوى لى .

الـــــرجـــــل : كنت أمر بالصدفة . لم أكن أعرفها .

المـــــــــــرأة : قلت لى : جـرتك ثقـيلـة ، يافـان شين - تينج . وكنت قد سمعت اسمى عندما نادتنى زوجة القاضى قائلة : « فان شين تينج » .

الـــــرجـــــل : فان شين - تينج كان عليك أن تحملى جـرتك مسافة طويلة .

المـــــــــــرأة : (تبدا فى تمثيل المشهد) إلى بيت القاضى الذى ركب حماره وغادر البلدة ياهسوى لى .

الـــــرجـــــل : هل تسمحين لى بمساعدتك على حملها ؟

المـــــــــــرأة : أنت بالطبـع تعـرف الطريق . ولكن طـريقـتك فى الالتفـاف حوله عبـر الحقول وخـلال البستـان تجعله أطول بكثير .

الـــــرجـــــل : الأفضل أن نمشى فى خط مستقيم . هيا بنا !

المـــــــــــرأة : لكننى فكرت بـينى وبين نفـسى : لا شك أنه طريق عسير وشاق عـلى من يجلس طول النهار على ضفة النهـر . خـير له أن لا يحـمل الجـرة ويكتـفى بأن يسندها أثناء السيـر . وضحكت على فتيـات القرية وقلن لى : « حتى الجرة لم يحملها عنك هسوى لى

إلى باب البيت ، مع أنه قوى مثل الثور . كيف تتصورين أنه متعلق بك » ؟

الضابط النحيل : انتظرى ! أنت ياامرأة تكثرين من الكلام وحدك . وهذا يوحى إلينا بأن هسوى لى لا يعرف الكثير عما تحكينه .

(يواصل الرجل والمرأة سيرهما . ويقوم الرجل بتمثيل دور حامل الجرة)

الرجل : أجل أجل . إنها ثرثارة . لم تتوقف عن الكلام طوال الطريق ، بينما كنت أنا أتصبب عرقا . وتملكنى الغضب لأننى حملت عنها الجرة .

المرأة : هسوى لى . أنت تحمل الجرة كما يفعل الرجال الأشداء. يالها من عضلات قوية ! لكن ماذا تعنيينى عضلاتك ؟ أنا لا أوهم نفسى بأى شئ لمجرد أنك تسير معى . ولكن ربما تصورت أننى مشغوفة بك بحجة أننى تركتك تحمل الجرة ؟ إننى لاأراك على الإطلاق - هل تأكل سمكة مطبوخة أم مقلية ؟

الرجل : مقلية .

المرأة : أنا لم أتعلم القلى ، إننى أسلقها وأضع معها سبعة أعشاب زكية الرائحة . أرأيت ؟ لن نستطيع أن نأكل معا ، هل تفهم فى بيع السمك بالسعر الذى يستحقه فى نظرك ؟

الرجل : هذا عمل التاجر ، لا عمل الصياد .

المرأة : أرأيت. سوف نجوع معا. لا يهمنى ، ياهسوى لى ، أن توصل الجرة إلى بيت القاضى . يمكنك أن تضعها

على الأرض إن كانت ثقيلة . - هل تنام في العادة على جنبك الأيمن أم على جنبك الأيسر ؟

الرجل : على جنبي الأيسر .

المرأة : أما أنا فعلى جنبي الأيمن . أرأيت ؟ إذا رقد الزوج على جنبه الأيسر بجوار زوجته فمعنى هذا أننا سننام وظهورنا لبعضنا ، ولن نتمكن من النظر في وجوه بعضنا ونحن ممددان على الحصيرة - قل لي : ما هو رأيك في السنوات القادمة ؟ كيف تتصور أحوالها ؟

الرجل : إن الذين يتحكمون فينا هم الذين يصنعونها . ماذا أستطيع أن أفعله أنا ؟

المرأة : سيصنعونها بخيرها أو شرها ياهسوى لي ، ولكن لا شك أنهم يصنعونها أفضل منك . فلهم أيد أكثر عددا من يديك . وهم وحوش ، لكل منهم أربعون يدا . تنبت من كل مكان في أجسادهم ، من البطن والكتفين ، بل تنبت من آذانهم . وأنت ستقضي حياتك كلها في كيس من الكتان المملوء بالقمل . ولكن استمر في حمل الجرة عني ، أيها الخامل الكسول ، حتى بيت القاضي . لا تقف في مكانك . تقدم ! هيا تعال ! تعال ! (للضباط) باختصار ياصاحب السعادة أفصحت له عن حبي بقدر ما استطعت وبقدر ما أضمرت له من الحب .

الضابط السمين : مازلنا نسمعك أنت وحدك ياامرأة ، ماذا قال ؟

الـــــرجـــــل : ((يتوقف عن السير ، ويتصرف كما لو كان يضع الجرة على الأرض)
أخيرا وصلنا .

الضابط النحيف : (بحدة) ماذا قلت ؟

الـــــرجـــــل : (ينطق العبارات التالية بغير إحساس ، كأنه يحفظها عن ظهر قلب) فإن شين تينج . الآن أراك على حقيقتك : لأنك حافية ، أرى قدميك الجميلتين ، لأنك فقيرة لا تملكين شراء أدوات الزينة ، أرى ابتسامتك ، لأنك ترتدين ثوبا باليا ، أشعر بشهوة جسدك ، فان شين تينج ، لأجلك قطعت هذا الطريق .

الضابط السمين : غلط ! هل سمع أحد عاشقا يريد أن يعانق امرأة ومع ذلك يتكلم بهذه الطريقة ؟ نغمة صوتك الكاذبة كشفت القناع عن وجهك .

الضابط النحيف : (يقفز من مكانه ويقول بحدة) انكشفت ياهسوى لى ! سيكلفك هذا رقبتك !

المـــــــــــرأة : ياصاحب السعادة . اسمح لى أن أثنى على أذنك الحادة السمع وعلى نظرتك التى لا تخيب . ولكنكم لم تلاحظوا سوى جزء من الحقيقة . أما ما حدث فى الواقع ، فسوف يظهر الآن فى النور . هل تتكرم سعاتك بأن تساعدنى على ذلك ؟

الضابط النحيف : هل تكلم معك هسوى لى بهذه الطريقة أم لم يتكلم ؟

المـــــــــــرأة : صحيح ياصاحب السعادة ، ولكنه لم يفعل ذلك أثناء الطريق . أرجوك أن تتذرع بالصبر . كنا قد

وصلنا إلى بيت القاضى . وكان القاضى قد غادر البلدة على ظهر حماره . دخل هسوى لى البيت واتجه إلى زوجة القاضى .

(تعطى الرجل إشارة . يدخل الرجل البيت - الذى يتوارى خلف أشجار كثيفة متشابكة)

الضابط النحيف : تريدين إبعاده لألاّ يفضح نفسه أكثر مما فعل . كونى على حذر .

المـــرأة : ذهب إلى زوجة القاضى ، ياصاحب السعادة ، ولم تكن هذه هى أول مرة ، هل كان هذا عدلا ؟

الضابط السمين : (بحسن نية) لابد أن زوجة القاضى كانت أجمل منك .

الضابط النحيف : (بحدة) كان هذا ظلما وعدوانا . لأن سلطة القاضى قد أضيرت بسلوكه هذا بصورة مهينة .

المـــرأة : (للضابط النحيف) ليت سعادتك تساعدنى على عرض حكايتنا كما حدثت فى الحقيقة والواقع . كان القاضى قد غادر القرية على ظهر حماره .

الضابط السمين : استمرى .

المـــرأة : آه ! السيد القاضى يزور قريتنا ، ياله من سيد نبيل! كيف لامرأة مغمورة مثلى أن تجرؤ على قول شئ يسئ إلى هذا السيد ؟ - أليس من واجب موظف العدالة المرموق أن يهتم بإقرار العدل ؟ أليس من واجبه أن يعاقب الظلم والشر ، وأن يحيا فى بيته الجميل حياة طاهرة بعيدة عن اقتراف الشر وعن

تحمله ؟ إن السيد القاضى يقيم العدل ويصون النظام بسمعتـه الطيبة وحدها . فإذا ساءت سـمعته فكيف يحترمه البسطاء الذين يعيشون فى بيوتهم الصغيرة ؟ وأين يجـدون الـقـدوة ؟ أليس كـذلـك ياصـاحب السعادة ؟

أما أمثالنا فـما أكثر مايفعلون الشـر ويتعرضون له . ومـا أكثـر مـا يمرغـون وجوههم فـى التراب أمـام العدالـة . لكن القـاضـى الحكيم يقـول كـذلك ياصاحب الـسعادة : إن مـا يفعلـه الصـغـار صغـير مثلهم ؛ فهو لا يسقط عـصفورا من أعلى الشجرة . وأما ما يفعله السادة الكبار فى بيوتهم الجميلة ، فإن الناس تتناقلـه سرا وفى كل مـكان ، حتى يتـحـول فجأة إلى قانون . لهذا يتحتم ، ، إن كان شرا ، أن يعاقب عقاباً أشد صرامة . ألا يتكلم القـاضى النزيه بهـذه الطريقة ؟

الضابط النحيف : القاضى الذى يحـافظ على سمعتـه يبث الخوف فى قلوب صغار الناس الذين لا يعرفون حدودهم .

المـــــــــــرأة : أتمنى ياصـاحب السعـادة أن تقوم بدور القـاضى فى حكايتنا ، لكـى يـتسنى لك أن تعـرف حـقيـقة مـا حدث .

الضابط النحيف : دور القاضى المخدوع ؟ الذى يضحك عليه الناس فى القرية لأن صياد السمك النتن قد ذهب إلى زوجته ؟

المـــــــــــرأة : بل دور السـيـد مـوظف العـدالة الذى يحـرص كل الحرص على سمعته فى سبيل إقرار العدل . ياله من سيد نبيل ! وكم أتمنى ألا يـسقط عليه ظل واحد من ظلال اللوم ! .

الضابط السمين : (للضـابط النحـيف) مثل مـعنا . إن اللعـبة تسـتحق أن نتسلى بها .

الضابط النحيف : كن على حذر

المـــــــــــرأة : ياله من دور رائع لكما ياصاحبى السعادة . إن السيد موظف العدالة رجل مرموق ، وكلامه دقيق صارم ، مثل كلامكما تماما ياصـاحبى السعادة ، وتأثيره قوى على الفـلاحين ، أما عـن نظرة عينيـه فـتكفى نظرة واحدة لكى يرتعش الأشـرار خوفا ، وما أكـثر الشر الذى يعيش فى الحظائر والـبيوت ومخـازن الغلال ! سلالة من الفيران الكابية اللون الراجفة الأعين . آه ! السيـد القاضى يركب دابتـه عبر الحـقول . ياله من دور بديع ومناسب لك ياصاحب السعادة .

الضابط النحيف : (يخلع درعه ويهبط من فوق المنصة) وماذا ينبغى أن أفعل ؟

المـــــــــــرأة : لن تكلف نفسك حتى بالتمـثيل ياصاحب السعادة . وما دمت قد نزلت من على المنصة ياصاحب السعادة فأنت القاضى بشحمه ولحمه . سوف تعرفون الحقيقة عن هسوى لى وعنى ، أنا خادمـة زوجتكم المبجلة ،

لقـد دخلت الـبلـد على ظهـر حمـارك ياصـاحب السعادة ، فأسعدت قلوب الأخيار جميعا والأبرار ، وقدموا لك اللحم المدخن ، ونبيذ الأرز والخوخ - ، كـما نشـرت الرعب فى قلوب الأشـرار ، فأخـذوا يتنافـسون كلهم فى تكريمكم وأداء واجـب الضيـافة نحوكم .

(يبدأ الضابط النحيف فى أداء الدور الذى يتم شرحه له)

ولكن ماذا يقول لكم الفـلاح الأحدب العجوز يونج - هسين خلف حـقل الذرة ؟ لقـد قـال شيـئـا عن زوجتكم وعن صياد الســمك هسوى لى . لا تصغوا إليه ياصاحب السعـادة ! وواصلوا السير ! ولكن ما إن تواصلوا السير لمدة ساعتين فى القيظ الشديد ، ما أن تتوقفوا قليلا فى المطعم الصغير فى نهاية القرية ، حتى تسـمعوا الناس وهم يـتهامـسون على الموائد ، عن هسوى لى صياد السمك يدور الهمس بينهم . . لا تنصتوا إليهم ياصـاحب السعادة القاضى ، لأنكم لن تسـمعوا منـهم إلا نصف الحقـيقة . ولـكن ماذا يقولون ؟ أجل ! لقد سمعتهم الآن ! إنهم يقولون : هل يمكن أن يكون قاضـيا عظيما من يتـولى القضاء فى القرية المجاورة ، الواقعة على مسيرة ساعتين فى

الحر اللافح بين دار القضاء التى تستقر فيها المشنقة وبيته الجميل الذى يحدث فيه شئ يحسن السكون عنه ؟ إن السيد القاضى يرهف أذنيه لمثل هذا الحديث . ولهذا يسارع بالرجوع وينزل من على ظهر حماره خلف سور الحديقة . لا يصعد الشارع الرئيسى وإنما يشق طريقه خلال أشجار الدغل الكثيفة. إنه يريد أن يرى ما يجرى فى بيته الجميل . لكننى لمحته ، أنا الخادمة فان شين تينج ، أرجوكم الصفح ياصاحب السعادة عن خادمة مغمورة . .

(تنادى) هسوى لى ! ربما تكون غاضبا ياصاحب السعادة ، لك ما تشاء .

الضابط النحيف : (فى دور القاضى) صياد نتن الرائحة يلطخ شرف بيتى . أنا القاضى وسأحرص على أن يعلق صباح الغد على أقرب وأفضل شجرة . لقد سمعت الناس بنفسى وهم يضحكون على .

المـرأة : هسوى لى ! اخرج بسرعة ! تعال إلى ! أسرع ! أسرع قل كل شئ يمكنك أن تقوله لامرأة تحبك !

(يخرج الرجل من البيت ويتجه نحو المرأة التى يغازلها بصورة رسمية متكلفة)

الـرجـل : لأنك حافية ، فإننى الاحظ قدميك الجميلتين ،

ولأنك فقيرة ولا تملكين ثـمن الأصباغ ، فإنني أرى
ابتسامـتك وحمرة وجهك ، لأنك تلبـسين ثوبا باليا
فإني أشعر بالشهوة التي تحرك جسدك ، لقد حضرت
إلى هنا من أجلك يافان شين - تينج .

المـــــــرأة : اسكت ! فقـد رجع السيد القاضي فـجأة . (للضابط النحيف) ياصاحب السـعادة ! أتوسل إليكم أن تعـفوا عن تقصيري وإهمالي ! سأخبر زوجتكم المبجلة على الفور بحضوركم .

الضابط النحيف : انتظري ! لا تتحـركي ! لقد قـال الناس إن زوجتي تلتـقي بصـياد السـمك هسـوى لي . هل هذه هي الحقيقة ؟

المـــــــرأة : صحيح أن صياد السـمك هسوى لي قد دخل بيتكم ياصاحب السعادة . ولكنه لم يدخل حجرة زوجتكم المبـجلة التي تنتظركـم وعلى رأسهـا تاج الفـضـائل جميعا . وإذا كـان الأهالي الذين يرصدون حركات الناس لم يشاهدوه وهو راجع إلى كوخه في المساء ، فالسبب في ذلك أنه بقي معي حتى الصباح .

الـــرجــــل : هذا هو الذي حدث ياصاحب السعادة .

الضابط النحيل : إذن فلن أزعج نوم زوجتي .

المـــــــرأة : يمكنكم أن تعودوا إلى مكانكم ياصـاحب السعادة ،

لأن السيد موظف العدالة ركب حماره وانصرف على مرأى من الجميع . بهذه الطريقة ياصاحب السعادة ، لم تفقد العدالة في قريتنا سمعتها الطيبة . هكذا توجهنا معا ، هسوى لى وأنا ، إلى كوخه الواقع على شاطئ النهر. (وهى تنحنى) هسوى لى ! زوجى !

الرجل : فان شين - تينج ، زوجتى .

المرأة : الرجل والمرأة مرتبطان ارتباط السماء والأرض .

الضابط السمين : (ضاحكا) أجدت التمثيل ياامرأة !

المرأة : شكرا لك ياصاحب السعادة على مروءتك . وأستأذن سعادتكم فى السماح لى بالرجوع إلى قريتى مع زوجى الشرعى . .

(تحاول الانصراف مع الرجل)

الضابط النحيف : انتظرى أيتها المرأة ! لن تفلتى منا بهذه السهولة ! إن الدور الذى قمت بعرضه لا يقنعنا ، نريد الآن أن نعرف كيف عشتما معا .

الضابط السمين : كم مضى على حياتكما معا ؟

المرأة : أربع سنوات ياصاحب السعادة .

الضابط النحيف : وأين كان هذا ؟

المرأة : فى الكوخ المطل على النهر .

الضابط النحيل : وكيف عشتما ؟

المــــــــرأة : عشنا سعيدين ياصاحب السعادة .

الــــرجــــل : من صيد السمك ؟

المــــــــرأة : تعلم أن لا يلقى الأحجار فى النهر كما كان يفعل . أصبح زوجى هسوى لى رجلا نشيطا .

الــــرجــــل : كان النهـر قد انتـفخ من كثـرة الأسمـاك ياصاحب السعادة .

الضابط النحيل : (فى سخرية بصوت حاد) يالكما من محظوظين هناك ! ألا تريدان أن تعرضا علينا هذا ؟

المــــــــرأة : السعيد لا يفكر فى السعادة .

الــــرجــــل : لو أذنتم لنا بالانصراف لكى نرجع للنهر .

(يهمان بالانصراف)

الضابط النحيل : قفـا ! الحراب مصوبة إلى صـدوركما ! لا تتحـركا خطوة واحدة ! أرونا كيف عشتما أربع سنوات على شاطئ النهر ؟

المــــــــرأة : هذا أمر شاق .

الــــرجــــل : دعونا نذهب !

الضابط السمين : خائف ؟ هل ضبطناكما متلبسين ؟

الضابط النحيف : ألا تذكران كيف كانت حياتكمـا معا ؟ هل تعارفتما فى وقت آخر ؟

المــــــــرأة : (تجر الرجل معها إلى التمثيل) ذهبنا معا إلى النهر وسكنا فى الكوخ ، وجلسنا على الحصيرة المجدولة من البوص .

وهكذا تذكر ياهسوى لى كيف كانت حياتنا فى ذلك الحين .

(يجلسان على الأرض متباعدين)

الرجل : الطريق الطويل خلال الغاب الكثيف ، وحوض الماء العكر إلى الركبتين ، ثم الأحجار التى حملتها بنفسى .

المرأة : قلبك حنون ياهسوى لى .

الرجل : حملتها حجرا بعد حجر ، لأعلم بها الخليج الصغير ، هناك لا ينفع الصيد بالسنارة .

المرأة : لا ياهسوى لى .

الرجل : ثم صنعت السلاسل لصيد السمك . واخترت المكان الملائم ، لأن الاسماك تلوذ بالمخابئ التى تشعر فيها بالأمان . وهناك يتحتم صيدها .

المرأة : لقد نجحت فى الوصول إلى أماكنها ياهسوى لى .

الرجل : وضفرت السلال بين أعواد الصفصاف الواسعة المستديرة التى يتخللها الماء ببطء مع حركة التيار .

المرأة : وسرعان ما نصطاد السمك الذى يكفى طعامنا ياهسوى لى .

الرجل بالأمس كانت ثمانى سمكات. واليوم إحدى عشرة. سوف أجدل سلة أخرى وأثبتها فى النهر . وبعد الظهر أجلس على الصخور المستوية وأضع ساقا على ساق ، وأظل أتطلع للماء حتى تغرب الشمس بين أعواد الغاب .

المـــــــــــرأة : ثم تأتى إلى كوخنا . ولدينا مايكفينا من الطعام .

الـــــرجـــــل : وأقول لنفسى : إذا تجمع لدى ما يكفى من السمك ، وضعـته فـى قـارب . الصيـاد العجـوز وانج وعدنى أن يترك لى قاربـه يومين فى الأسبوع . إنه مـستغن عنه ، وربما لا يحتاجـه بعد ذلك أبدا . وأنحدر مع النهر يوما بأكمله ، وأعود فـأصعد بسهولة مع النهر بعد أن فرغ القارب من حمله وبعت السمك .

المـــــــــــرأة : وترجع إلى كوخنا وتجدنى فى انتظارك .

الـــــرجـــــل : ويوما من الأيام يصـبح لى قارب خـاص ، أبحر به إلى المدينة ، هناك عند منحنى النهر .

المـــــــــــرأة : ما أسعدك بعملك ياهسوى لى !

الـــــرجـــــل : وما الذى يمنعنى من الانحدار مع النهر إلى أبعد من ذلك ، وهناك أستـأجر عربة يجرها حمـار ، وأنتقل بين القرى؛ حيث تباع الأسماك ببضع عملات نحاسية أزيد من سعرها فى تلك المدينة الصغـيرة البائسة عند منحنى النهـر ؟ ستطول الرحلة بضعـة أيام ، ولكـن مـا أهمية ذلك ؟

المـــــــــــــرأة : وأنتظرك فى صبـر يا هســوى لى ، لأنى أعلم أنك سوف تعود ، وأن بيتنا يحمينا .

الـــــــرجـــــل : ليتك رأيت السوق الذى يضج بالحـياة يا فان شين - تينج . هناك تجدين كـبار التجار الذين لا يحـبون أن يخـاطبهم أحـد أثناء مـرورهم ، والطباخـين الذين يعـملون فى بيوت العـلائلات الغنية ، أنهم يقلـبون الأسماك هنا وهناك ، دون أن يرضيهم شىء ، ولابد فى هذه الأحـوال أن أظهر براعـتى ، وتجدين نسـاء العمال الحرفيين والسـماسرة والصرافين الذين أتعامل معـهم كمـا أتعامل مع أمـثالى ، والعـلماء الفـقراء كذلـك - هاك يا صاحـبى ذيل سمكة تطبـخهـا مع شـربة الكرنب . لابد أن أكـون ذكـياً وأشطر مـن غيرى ، وإلا تلقيت اللطمات على أذنى .

المــــــــــــرأة : أنا واثقة من براعتك يا هسوى لى ، ولا أشعر بأدنى خوف من كـساد بضـاعتك ، فلدينا مـا يكفى لكى نعيش فى كوخنا .

الــــرجـــــل : الأشرار يدبرون الحيل كالشياطين . بالأمس كسروا إحدى عجلات عربتى لكى أتأخر عنهم فى الذهاب إلى السوق . كان على أن أنتبه حتى لا يفكوا السلسلة التى ربطت بها القارب بجوار الشاطىء . لابد أن أكون أمكر منهم ، فهم أعداؤنا .

المــــــــرأة : نحن لا نريد أكثر من أن نعيش فى كوخنا يا هسوى لى . فكيف يكون لنا أعداء ؟

الــــرجـــــل : أنت لا تحسين بشىء ، تعيشين طول اليوم فى كوخك ولا تشعرين بما يجرى فى العالم . أما أنا - أما أنا . . .

المــــــــرأة : نريد أن نبقى فى كوخنا يا هسوى لى .

الــــرجـــــل : (نافذ الصبر) ألا تفهمين ما أقول ؟ فى الكوخ ! فى الكوخ ! ليس لديك إلا فى الكوخ ! الكوخ ! أربع خطوات للأمام وأربع للوراء . والنافذة مغلقة على الدوام ،

(بغضب) أنت وكوخك !

الضابط السمين : برافو ! برافو ! هكذا تكلم الرجل كما يليق برجل .

المـــــــــــرأة : (فى قلق) هل تأذن لنـا الآن بالانصـراف يا صـــاحب السعادة ؟

الضابط النحيف : انتظر . إن لم تخنى الذاكرة فـقد ارتفعت ميـاه النهر فى العام الماضى .

لابد أن هذا قد أصابكما أيضا .

المـــــــــــرأة : ليتك يا صاحب السعادة لا تذكرنا بشيء فظيع كهذا !

الضابط النحيف : أجيـبا . أين كنتمـا عندما ارتفعت مـياه الفيـضان ؟

أجب يا هسوى لى !

الـــــرجــــــل : (يلوذ بالصمت)

المـــــــــــرأة : على سطح كوخنا . إنـه يرتكز على أعمدة مـتينة . بينمـا سال النهـر وغمـرت ميـاهه الضفـاف المكتظة بأحراش الغاب .

الضابط السمين : (ضـاحكا) جلسـا على السطح . ألـم يكن منظرهمـا مضحكا ؟

الضابط النحيف : كم من الوقت مضى عليكما ؟

المـــــــــــرأة : كم من الوقت ؟ . .

الـــــرجــــــل : جرفت المياه القارب .

المــــــــرأة : نادينا الجيـران من كل ناحية ، لـكن المصاب بالمحنة مصاب بالصمم .

الضابط السمين : (للمرأة) وكم لبثتما ؟

المــــــــرأة : أظلمت السماء ثم أشرقت .

الضابط النحيف : (بحدة) وهكذا جلستمـا على السطح . فاجلسا الآن كمـا كنتمـا تفعـلان ، وكما أخذتما تنظران أحـدكما للآخر ، فاجلسا بحيث تنظران لبعضكما .

(يجلس الرجل والمرأة بطـريقة توحي بـأنهمـا قـاعدان فـوق سطح ضـيق مـائل ، مواجهين لبعضهما وناظرين كل منهما فى وجه الآخر)

المــــــــرأة : طال علينا الليل . ولما طلع الصبح . . .

الـــــرجـــــل : (شاخصا ببصره إليها) لم أرك أبدا كما أراك الآن

المــــــــرأة : يجب أن نصبر يا هسـوى لى - تشانج كو - تونج ، تاجر الزيت فى القـرية ، سوف يحضـر بقاربه ، إنه رجل طيب .

الـــــرجـــــل : (يهب واقفا) الصبر !

المــــــــرأة : الكارثة أصابت كل القاطنين على شط النهر ، لأنهم جميعاً عاشوا على خيره .

الـــــــرجـــــــل : (يهم بالانصراف) لا أريد أن أجلس هنا أكثر من هذا .

الضابط السمين : قف عندك يا هسوى لى ! أتريد أن تغرق ؟ حاذر أن يسقط سقفك إن قفزت من عليه كما يفعل الصبية !

المــــــــــــــرأة : هسـوى لى ، أحش فـمك بالبـرقـوق واشـرب من الزجـاجة . لم تزل فى سـلتى بعض صحـاف الأرز والبازلاء ، بل معى لحم جاف ، أرأيت كيف فكرت فى كل شيء ! يمكننا أن نتحمل العيش بعض الوقت على السقف .

الضابط النحيف : انظر إلى زوجـتك ! لا تحـرك أطرافك حـركـات لا داعى لها !

المــــــــــــــرأة : ألم أفكر فى كل شيء يا هسوى لى ؟

الــــــــرجـــــــل : (يحدق بجمود) علينا أن نتحمل الـعيش لبعض الوقت على السقف .

المــــــــــــــرأة : هل تشعر بالبرد ؟ أحـضرت معى غطاء فى السلة ، وفـرشـة من جلود الكـلاب ، وحـصيـرة جـدلتهـا بنفسى .

الــــــــرجـــــــل : لا .

المـــــــرأة : هل تيبست أعضاؤك من جلوسك القرفصاء ؟ أأدلكها لك لتعود طيِّعة كما كانت ؟ لدىّ خبرة فى هذا . .

الــــرجـــــل : لا .

المـــــــرأة : هل تشعر بالخوف ؟ أحكى لك عن ذلك الصيف الجميل الذى أتينا فيه إلى النهر ؟

الــــرجـــــل : لا

المـــــــرأة : هل تُحس بالملل ؟ أتحب أن أغنى لك أغنية ؟

الــــرجـــــل : لا

المـــــــرأة : هسوى لى ، يا زوجى الحبيب ، إنى أنتظر فى خضوع أن تبدى أية رغبة .

(الرجل يهم بالوقوف)

الضابط النحيف : انظر إليها يا هسوى لى ! المكان ضيق على سطحكما . لا تتحرك .

الــــرجـــــل : إننى أنظر إليك .

المـــــــرأة : غدا تنخفض المياه فى النهر الأصفر . فيم تفكر ؟

الــــرجـــــل : إننى أنظر إليك .

المـــــــرأة : ليتنى أجد وسيلة لأسرى عنك ، سأغنى لك أغنية

(تبدأ فى الغناء)

فى اليوم الأول

سقط المطر

فأخذ الأب قبعته ،

قال لنفسه :

المطر ، المطر الرائع .

فى اليوم الثالث

سال المطر

وفزع الأب والأم

تطلع كل فى وجه الآخر

إذ سال المطر

المطر الرائع .

فى اليوم التاسع

زاد المطر هطولا

وحساؤهما ازداد نحولا

من هول المطر

المطر الرائع ،

جاء اليوم الثانى عشر

فرفٌ جناح الشحرور

وحين يجىء اليوم الثالث عشر

سيغدو الجو جميلا

فى المطر ، المطر الرائع .

(الرجل يحدق فيها بغير انفعال)

الضابط النحيف : لا تتحرك من مكانك يا هسوى لى ! إن مياه الفيضان تتصاعد نحو السطح ! انظر إلى زوجتك ! انظر إليها !

الضابط السمين : انظر إلى زوجتك . انظر إليها .

الضابط النحيف : لأنك لا تستطيع الابتعاد عنها .

الضابط السمين : ولا تستطيع أن تقفز من السطح فى مياه الفيضان .

الضابط النحيف : سيكون فى ذلك موتك يا هسوى لى . انظر إلى زوجتك .

الرجل : (يهب واقفا فجأة ويصرخ) لا

المرأة : (مفزوعة) هسوى لى ! زوجى !

الرجل : دعينى .

المرأة : ماذا تنوى أن تفعل ؟ ابق هنا ! إنك تقتل نفسك ! تقتلنا معا !

الــــــرجـــــــل : أريد الذهاب ! لا أريد البقاء معك ! إنى لا أحتمل !

المــــــــــــرأة : لا يمكـن الــذهاب يا هــسوى لى . لابد أن تبـقى معى . أنت زوجى أمام القانون .

الــــــرجـــــــل : (ينتزع نفسه منها ويلقى بنفسه فى الماء) لست زوجك . إننى لا أعرفك . لم أعرفك أبدا .

المــــــــــــرأة : (ترتجف وتنكمش على نفسها . تخفى وجهها بيديها) هسوى لى !

الضابط النحيف : (يهب واقفا على قدميه) ابق مكانك أيها الجندى ! لا تخط خطوة واحدة ! وإلا سمرتك الحراب !

(يثبت الرجل فى مكانه)

حاول الجندى هسـوى لى أن يخدعنا ويخـدع جلالة القيصر الذى كـان رؤوفًا به ، وذلك عندما ادعى أنه الزوج الشرعى للسـيدة فان شين تينج . إنه مـتهرب من الخدمة .

المــــــــــــرأة : أخطأت يا صـاحب السعـادة . أخطأتم يا حضـرات الضباط . لقد قال ما قاله وهو منفعل . كما يتصرف رجل اضطر للجلوس مع زوجته على السطح .

الضابط السمين : ولكنه مـثَّل دوره بصدق أكـثـر منك يا امرأة . لقـد خسرت !

المـــرأة : يا صاحب السعادة . أنا امرأة فقيرة مسكينة . ولابد أن أحافظ على زوجى .

الضابط النحيف : أراد الرجل أن يهرب منك . حتى الفيضان لم يستطع أن يمنعه .

المـــرأة : ولكن مياه النهر تراجعت بعد ثلاثة أيام .

الضابط السمين : اعترفى بأنه ليس زوجك .

المـــرأة : تراجعت المياه . وبدت الأرض كابية متورمة ، كأنها جرذان ضخم ميت . واستمرت حياتنا معا ، هسوى لى وأنا .

الضابط السمين : ربما تريد أن تجرب ثانية ؟ (للضابط النحيف) أعطها فرصة أخرى ، فقد استطاعت أن تسلينا ساعة كاملة . بعدها يمكن أن يتم هذا (إشارة تدل على الشنق) بصورة أسرع .

المـــرأة : يا صاحبى السعادة ! أشفقا على الرجل المسكين الذى أحبه ! كان كوخنا قد أصبح مجدبا . وجرفت المياه المائدة والكرسى والسرير . وكان لابد من تعبيد الطريق الموصل من أحراش الغاب إلى القرية .

الضابط السمين : هيا ابدئى - هل سيشارك زوجك ؟

الضابط النحيف : أم أن الرعب أخرسه ؟

الضابط السمين : لعله نادم على نزوله من فوق السور . فى إمكانه أن يرجع ، هذا الجندى .

المـــــــــــرأة : كان الرجال الذين يجمعون المتطوعين قد وصلوا فى ذلك الوقت إلى القرية . ولكن هسوى لى حشا أذنيه بالأعشاب . . .

الضابط السمين : اسمع يا هسوى لى ! إن أحوالك كما تعلم سيئة . فمعك فى الكوخ زوجة ثرثارة ، وأهالى القرية الذين يعرفونكما يقولون إن من لا يملك شيئا لا يحصل على شىء ولا يعطى كذلك شيئا . ثم إن الأسماك تموت فى النهر ، والرائحة النتنة منتشرة فوق الضفاف . . .

المـــــــــــرأة : هسوى لى . بماذا ترد عليهم ؟

الـــــرجـــــل : اذهبوا . اذهبوا .

الضابط النحيف : (ساخرا) ألم تسمع الأغانى التى ينشدها الجنود ؟ إنهم يتكلمون فيها عن الغزو . ناهيك عن الاحترام الذى

يديه الفلاحون الجائعون للمجند الذى يحصل كل يوم على ثلاثة صحون من الأرز . وأصحاب القوارب الذين يتنافسون على نقل الجنود عبر النهر .

المرأة : (بضراعة) هسوى لى .

الرجل : (للرجال الذين يجمعون المتطوعين) أذهبوا . اذهبوا .

(الضباط يضحكون)

المرأة : ابق فى الكوخ ، يا هسوى لى . حتى يأتى الصيف ويذهب الرجال إلى الأرياف .

الضابط النحيف : زوجك ذهب بالفعل مع الجنود ، لقد شبع منك بما فيه الكفاية .

المرأة : لم تكن لديه الرغبة فى الذهاب يا صاحب السعادة . أقسم لك . هم الذين عثروا عليه وأخذوه معهم . لقد رفض الذهاب معهم . تكلم يا هسوى لى .

الرجل : لم أستجب لطلب الرجال الذين يجمعون المتطوعين ، لجأت إلى أحراش الغاب وجلست هناك ، بعيدا عن الكوخ ، حيث يثير الماء الآسن فقاعات كابية اللون ، أنا هسوى لى الفقير المسكين .

ورحت أستمع إلى حديث فان شين - تينج مع تاجر الزيت الذى أخذت تتوسل إليه ليخفض أسعار حاجاتنا من التموين ، كما أستمع إلى أصوات الجنود الذين تتابع خطاهم على السد من فوقى واحد بعد الآخر . سمعتهم ينادون ، فسددت أذنى وانكفأت وسط الأحراش ووجهى إلى الماء . كيف يمكننى إذن أن أعيش ، أنا هسوى لى ؟

(يعود إلى الانخراط فى دوره)

المــــرأة : (بعيدا عنه « فى الكوخ ») إننى أحبك يا هسوى لى

الضابط النحيف : ألم تذكرى من قبل يا امرأة أن تاجر الزيت جاء لزيارتكم ؟

المــــرأة : نعم يا صاحب السعادة . تاجر الزيت شانج كو - تونج وهو رجل ودود أصلع الرأس . استجاب لتوسلاتى إليه فسمح لنا أن نستدين منه مبلغا يساوى ثلاثمائة عملة نحاسية نسددها له بعد شهر .

الضابط السمين : ورجع تاجر الزيت مرة أخرى ؟

المــــرأة : وهو سيد لطيف يا صاحب السعادة ورقيق القلب . إن صوته يشبه صوتكم .

الضابط السمين : وزوجك هسوى لى ؟

المـــــــــــــرأة : بقى فى أحراش الغاب يا صاحب السعادة طوال الصيف .

الضابط السمين : أراد أن يقطع علاقته بك ؟

المـــــــــــــرأة : وظل الجنود يعبرون السد المرتفع هناك واحد بعد الآخر . كان قد اختبأ منهم .

الضابط النحيف : سمعت يا هسوى لى ؟ أنت أيها الخامل الكسول . أيها الجبان المختبىء وسط أعواد الغاب ، والمياه العكرة تصل إلى سرتك . هل سمعت أن تاجر الزيت قد جاء ليسترد المال الذى أقرضه لكم ؟

الضابط السمين : وهو رجل طيب ، رجل رقيق القلب يا هسوى لى . لقد وافق على إمهالكم شهرا آخر ، لأن فان شين - تينج عرفت ببراعتها كيف تتوسل إليه .

(الضابطان يضحكان)

الضابط النحيف : ويواصل الجنود عبورهم للسد من فوقك يا هسوى لى

المـــــــــــــرأة : لا يمكننى أن أذكر تاجر الزيت شانج كو - تونج إلا بالخير يا هسوى لى .

(ضحكات)

لقد كان يشبهكم فى صوته ، وحركاته ، وإحساسه النبيل يا صاحب السعادة (تشير إلى الضابط السمين) . هل تسمحون لى يا صاحب السعادة بأن أدعوكم للنزول إلى هنا لكى تعرفوا بنفسكم حقيقة ما جرى .

الضابط النحيف : أهذه حيلة أخرى من حيلك القذرة يا امرأة ؟

المـــــرأة : إنه رجل رؤوف وسيد نبيل . كم زارنى فى كوخى الفقير . وكم تكلمت معه .

الضابط السمين : (ينزل من فوق المنصة إلى خشبة المسرح ويبدأ فى تشخيص دور تاجر الزيت) عن أى شىء تكلمت معه يا امرأة ؟

(ضحكات)

الضابط النحيف : انصت يا هسوى لى ، يا من تختبىء هناك فى أحراش الغاب !

المـــــرأة : عن أسعار الزيت يا صاحب السعادة . تحدثنا عنها طويلا ؛ لأن كلينا يفهم فيها بعض الشىء - صباح الخير يا سيد شانج كو . تونج .

الضابط السمين : (فى دور تاجر الزيت) صباح الخير يا سيدة شين - تينج .

المـــــــــــــرأة : تفضل بالدخول .

الضابط السمين : إليس زوجك بالبيت ؟

المـــــــــــــرأة : ما الداعى لسؤال سيادتكم عن زوجى ؟ لقد استأذنته فى الكلام معكم عن الأمور التى تهمنا .

الضابط النحيف : أنصت يا هسوى لى ، يا من تقبع هناك فى أحراش الغاب !

الضابط السمين : أنت فى غاية اللطف يا سيدتى العزيزة .

المـــــــــــــرأة : لندخل البيت لكى أستطيع أن أقدم لكم ما يليق بضيف كريم مثلكم .

(ضحكات الضابط النحيف)

لماذا تضحك يا صاحب السعادة ؟ ألا تعرف سعادتك آداب اللياقة البسيطة ؟

الضابط النحيف : استمرى ، استمرى يا زوجة الجندى هسوى لى . ابذلى كل جهدك للحفاظ على كوخك وزوجك وكل ما هو عزيز عليك .

الضابط السمين : مهما ساومتنى على جرار الزيت فلن يمكنك أن تغبنى حقى . فحتى لو كان الفيضان قد جرف

جرارى ، فإن البقية منها قد ارتفع ثمنها بحيث لا تهمنى الجرار الضائعة .

المـــرأة : ليس فى نيتى أن أغبنك حقك يا صاحب السعادة ، لأن طيبتك وكرمك معروفان لدى الجميع .

الضابط السمين : (يحاول الاقتراب منها ، ولكنها تتحاشاه بلطف) من الأفضل إذن أن تخاطبى طيبتى بدلا من مخاطبة عقلى . سأصرف النظر عن الخسارة التى يسببها لى تأخرك فى الدفع . ولنحاول بدلا من ذلك أن نتفق على ثمن طيبتى وكرمى .

المـــرأة : (وهى تتخلص منه) أرجوك يا صاحب السعادة أن تمهلنا شهرا آخر لنتمكن من تسديد الدين ، وذلك حتى يرجع زوجى إلى عقله .

الضابط السمين : سوف يسعدنى حتى ذلك الحين أن أتفاهم معك فى كوخك على هذه الصفقة يا سيدتى العزيزة .

المـــرأة : أنت إنسان طيب القلب يا سيد تشانج كو - تونج . لابد أن أخبر زوجى عن المفاوضات التى دارت بيننا عن المبلغ المتأخر .

الضابط النحيف : انصت يا هسوى لى لتعرف إن كانت تقول الحقيقة !

(يقف الرجل ويتقدم ببطء نحو الكوخ)

المـــــــــــرأة : أنا لا أتكلم معكم إلا لأننى أفهم أكثر منه فى أمور الزيت والتموين .

الضابط السمين : أنت امرأة ذكية يا فان شين - تينج .

المـــــــــــرأة : لولا الذكاء لمات الإنسان كما يموت الحيوان فى جحره يا صاحب السعادة . وكل شىء وله ظروفه ، ولكل شىء أوانه .

الضابط النحيف : (يتدخل فى الحديث وينادى بصوت حاد) ولكن ربما لم تكونى ذكية بما فيه الكفاية ؟

المـــــــــــرأة : (فى خضوع للضابط النحيف) أنا لا أجرؤ أن أقيس ذكائى بذكائكم يا صاحب السعادة . ولكن ذكائى قوى لمجرد أن الحقيقة فى جانبه .

الضابط النحيف : ألم تتلقى هدايا من تاجر الزيت شانج كو - تونج ؟

المـــــــــــرأة : لا أذكر يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : فكرى جيداً . فربما حرصت على أن يحضر معه بعض الهدايا التى لا تحبين أن تطلعى زوجك عليها

المـــــــــــرأة : بدأت أخاف من ذكـائكم يا صاحب السعـادة . ماذا تقصدون بسؤالكم هذا ؟

الضابط النحيف : إثبات إدانتك يا امـرأة ، يا من تركها زوجـها وذهب مع الجنود . متى تركك إذن ؟

المـــــــــــرأة : قبل حلول الصيف يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : تركك وذهب بعيدا - وها هو ذا يرجع إليك . (يريها التميمة) .

المـــــــــــرأة : (تصاب بالرعب . تتعرف على التميمة التى كان يحملها زوجها فى اللوح المعدنى ، ولكنها تحاول أن تسيطر على نفسها) لا أفهم قـصد سيادتكم .

الضابط النحيف : هل تعرفين هذه التميمة ؟

المـــــــــــرأة : لا ياصاحب السعادة .

الضابط النحيف : انصت جيدا يا هسوى لى !

المـــــــــــرأة : إذا كنتُ لم أفقدها ، فكيف أتعرف عليها ؟

الضابط النحيف : أصدرنا الأوامـر بتفـتيش ملابس الجنـود الذين ماتوا دفاعـا عن البوابـة الجنوبية . وقـد عثـر عليهـا أحد الجنود وأحضرها الآن .

المـــــــــــــرأة : لاشك أنــه كـان جندياً شجاعا وسقـط فـى المعركـة

(منفجرة) هسوى لى ! لماذا ذهبّت وتركتنى !

الضابط النحيف : ماذا قلت ؟

المـــــــــــــرأة : ليرقد الموتى فى سلام وهدوء .

الضابط النحيف : ولكن واحدا منهم يمكنه أن يزعج هدوءك .

المـــــــــــــرأة : إنهم لا ينتقمون ممن يتمنون لهم الحياة .

الضابط النحيف : اقرئى المكتوب على اللوح المعدنى .

المـــــــــــــرأة : (متهربة منه) تصعب علىّ القراءة يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : ولكنك قرأته من قبل ، أليس كذلك ؟

المـــــــــــــرأة : (متعلثمة) لا أذكر يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : مادمت لا تريدين قراءته فسـوف أتلو عليك ما كتب عليه (للرجل) استمع يا زوج هذه المرأة التى تقف هنا أسفل السور (يقرا) " هذه التميمة هدية من فان شين تينج لزوجهـا هسوى لى ، رمز الوفاء يوم زفـافها " لقد أخذناها من هسوى لى .

(يلقى التميمة على الأرض لترفعها المرأة)

المـــــــــــــرأة :(تتحكم فى أعصابها) ليتك تترك الموتى فى سلام يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : (منحنيا للأمام) دموع يا امرأة ؟

المـــــــــــــرأة : أنا لا أعرف الرجل المسكين الذى يرقد مع موتاكم . فلماذا أذرف الدموع ؟

الضابط النحيف : (للرجل) سمعت ؟

الضابط السمين : أبدعت فى التمـثيل يا امـرأة . إذا كان الجندى الميت هو زوجك الشرعى ، وهـذا هو الزوج المزيف - فلا عـجب أن يخـاف المزيف على نفـسـه منك - لقـد أبدعت حقا فى التمثيل .

المـــــــــــــرأة : إننى أحب زوجى هـسـوى لى الذى يختـبىء بين أحراش الغاب . أتوسل إليكما يا صاحبى السعادة أن تتـركاه يرجـع معى . فـالمثل يقـول : الرجل والمرأة كالسماء والأرض . . هسوى لى ، تعال إلى !

الضابط النحيف : (للرجل) هل سمعتها ؟

الـــــــرجـــــــل : (غاضبا) أجل . زوجك مات . أصابه سهم فى عينه !

الضابط النحيف : انتظر أيهـا الجندى ! الآن فـضـحت نفـسك ! لقـد عـرفت زوج هذه المرأة ، وكنـت صـديقـه ، وكنت بجانبه على السور عندما أصابه السهم . ثم تصورت أن فى إمكانك أن تحلَّ محله .

الــــــرجــــــل : (مرعوبا) يا حضـرات الضباط . نحن لـم نخلع بعد خوذاتنا ودروعنا . وأنـا لم أعرفه . الغـضب وحده هو الذى جعلنى أتهم زوجتى .

المـــــــــــرأة : كان دائما غيورا علىّ يا صاحبى السعادة . أما السيد شانج كو - تونج فكان رجلا نبيلا ، كما أكدت لكم هذا من قبل . اسمعوا ماذا قلت له :

(يتقدم الضابط السمين لتمثيل دور تاجر الزيت)

خيـرا فعلتم برجوعكـم إلى هنا يا سيد شـانج كو - تونج ، لأن أحوالنا سيئة . أنا مضطرة للتوسل إليك بأن لاتطالبنا بتسديد الدين قبل شهرين . وإلا عجزنا عن البقاء فى كوخنا .

الضابط السمين : السيـدة فان شين - تينج تتـفنن فى تقديم توسـلاتها بطريقة آسرة .

المـــــــــــرأة : وأين نجـد مـأوى لـنـا ؟ فى الحـقـول تغـرقنا أمطار الربيع ، فى القرية يهـزأ بنا كل من له سقف يظله ، وفى الشارع يجـرنا الجنود معــهم ، ونحن لا نطلب إلا أن نبقى معا فى كوخنا .

الضابط السمين : أين زوجك يا فان شين تينج ؟

المـــــــــــــرأة : هناك وسط أحراش الغاب - غير بعيد عن هنا .

الضابط السمين : ألن يحضر الآن ؟

المـــــــــــــرأة : لقـد أخذ سكينًـا معـه ، ليقـطع أعواد الغـاب التى سيصنع منها الحصر .

الضابط النحيف : ماذا تفعل يا رجل ؟

الــــــرجــــــل : فى الوقت الذى أجلـس فـيه هـنا ينمـو الغـاب من حـولى ويتكاثف ، لأننى غـرست سكينى فى فـرع شـجرة ، إننى لا أفـعل شيـئا . كل مـا هناك أننى أسمع من بعيد صـوت تاجر الزيت شانج كو - تونج وهو صـوت مهـذب ودود ، يعبـر عن أدب عمـره ثلاثة آلاف سنة ، مستمد من كتب الحكمة القديمة . ولكن ماذا أفعل بهذا الأدب هنا وسط أحراش الغاب ، إن مـا يحــدث وراء أذنى يعـذبـنى . فـأنــا أكـره المعروف الذى يقيـدنى فى الأغلال . وإذا وافق تاجر الزيت شانج كو - تونج أن يمهلنا كـرمه شهرا فلابد أن يفكر فـيه كـلانا لمدة شهـر . وإذا شاء كـرمه أن

يمهلنا شـهرين ، فلن نستطيع أن نتـحدث عن شيء غيره طوال شهرين . أما إذا أعـفانا بفضل طيبته من ديننا كله إلى الأبد ، فـسـيكون ذلك وقتـا طويلاً – وعندئذ . . . عندئذ . . . .

الضابط السمين : الواقع أنه يسـتحـيل عليَّ أن أطالب بالدين وأنا أرى أمامى كل هذه السعادة .

(يريد أن يقترب منها)

المـــــــــرأة : (مبتعدة عنه) أشكركم يا سيد شانج كو – تونج .

الضابط السمين : متى يرجع زوجكم ؟

المـــــــــرأة : فى المساء .

الضابط النحيف : (للرجل بلهجة حادة) هكذا تبدو سعادتك يا جندى ! اقفز عليه . اقفز عليه !

(يقفز الـرجـل مندفعا مـن مخبئه ' ويطعن تاجر الزيت بالسـكيـن فيرديه قتـيلا ' الضابط السـمين ينهض واقفـا على قدميـه ، بعد أن أرداه الرجل ، ويرجع إلى مكانه وهو يضحك) .

المـــــــــرأة : ماذا فعلت يا رجل ؟ قتلت السـيد شانج كو – تونج الذى لم يقدم لنا إلا الخير . كيف سيكون مصيرنا ؟

أطلت الجلوس وسط الأحراش وأدمنت التفكير حتى
اختل عقلك . هأنذا أسمع خطواتك وهم يلاحقونك
- من يحميك ؟ وإلى أين تهرب ؟

الرجل : لن أبقى هنا .

المرأة : فى الحقول سيطاردونك بكلابهم . وفى الشارع
سيجرك الجنود معهم .

الرجل : أريد أن أذهب - أن أفر .

المرأة : انصت . إننى أسمعهم قادمين . الشرطة فى الطريق .
سأقف أمام الباب وتختفى أنت وراءه . سأتكلم مع
رجال الشرطة الذين جاءوا للقبض عليك (للضابطين)
هذا هو الذى حدث بالضبط يا صاحبى السعادة ،
يا حضرات الضباط .

(تشد الرجل إلى المخبأ وراء الباب الذى تقف أمامه)

أنتم يامن هناك ! لا تندفعوا بهذه السرعة ! لا تسيئوا
الأدب ! أهكذا يدخل الإنسان بيتا غريبا ؟ ثم ماذا
تتشممون حولكم ؟ لعلكم تريدون صحفة من لبن
الماعز - أو نصف دجاجة ؟ لن تجدوا شيئا . ابحثوا

فى بيوت الأغنياء ! لا ، لن أبتعد عن الباب - نحن فقراء يا حضرات السـادة - لن تجدوا لدينا غير كيس مـحـشـو بقـش الذرة والبـراغـيث إذا أردتـم أن تسـتريحـوا ، وشـربة الكرنب المملحـة إذا شعـرتم بالجـوع ، وهذا البـاب لتـخـرجـوا منه إذا تكرمـتم بالانصـراف ، وعندئذ لن ألوح لكم مودعـة ، لا - لن أترككم تدخلون من هذ الباب الذى أقف أمامه . إنكم تفتشون عن زوجى ، ماذا فعل لكم إذن ؟ هل سرق شـيئـا ؟ هل سكر وأثار الضجـيج ؟ - أم تراه استـهزأ بكم ؟ لا أستـبعد أن يكون قـد فعل هذا . فلتـعف الآلـهـة عـنه - لا - قلت لن تـدخلوا . وزوجى لن تأخذوه . لن أسمح لكم بهذا .

(فى هذه الأثناء يفتح رجـال الشرطة المتخيَّلون الباب - المتخيل أيضا - بعنف شـديد ويزيحـون المرأة جانبـا . تستدير المرأة وتبحث وراء البـاب فتكتشف أن الرجل قد اختفى .

ضحكات عالية تصدر من الضبـاط والجنود الواقفين فوق السور) .

الضابط النحيف : أين زوجك يا امرأة ؟

الضابط السمين : أرأيت كيف هرب بجلده ؟

الضابط النحيف : لقد اختفى وراء السور .

الضابط السمين : ويعجبه الحال هناك أكثرمن هنا .

الضابط السمين : لن يرجع يا امرأة . انصرفى الى بيتك !

الضابط النحيف : ننصحك شفقة عليك ، انصرفى إلى بيتك . لقد خسرت اللعبة .

الضابط السمين : ألم يذهب زوجك الأول أيضا باختياره ؟

الضابط النحيف : ألم تستردى لوحك المعدنى الجميل أيضا كما تقضى اللياقة ؟ اذهبى إذن ؟ اذهبى إلى قريتك وفرجى الغسالات عليه .

المــــــــــرأة : (يائسة) هسوى لى ! هسوى لى !

(الجنود الواقفون فوق السور يضحكون ضحكات عالية) أين القيصر ؟

الضابط النحيف : لقد استمتع القيصر بالتمثيل. ولكنه انصرف منذ قليل

المــــــــــرأة : (فى غضب يزداد توحشا) انصرف منذ قليل ؟ دخل مخدعه لينام ؟ وإذا صرخت ، ألن يوقظه صراخى ؟

أيهـا القيـصر ! أيها الـقيـصر ! استـمع إلىّ أيهـا القيصـر ! تكلم ! هل تألمت لسوء حالى ؟ لقد رأيت كل شيء ثم ذهبت بغير كلمة واحدة . إننى أكرهك ، ينبـغى أن تسقط من على عـرشك . وتسقط مـعك قشور الـسمك الذهبية التى تلتف بهـا . ما أنت إلا بعبع وهمى . وأنا أغـرق فى الضحك عندمـا تسيل نشارة الخشب مـن رأسـك المكسور . وأنتـم ، يـا حضرات الضبـاط جميعاً ، ما هذه الأمـاكن الفخمة التى حجزتموها لأنفـسكم فوق السور ؟ إلى أى مدى يمكنكم أن تمـدوا أبصـاركم إلى القـرى والنجـوع ؟ يالبـراعتكم فى الكـلام ! خذوا راحـتكم فى الكلام عنى . بـل توقـفوا . إننـى أهزأ بكم . لن أستـمع إليكم . سأهتف فى كل مكان : لا تستمعوا للأغبياء فوق السـور . هنا على الأرض مكانى . أنا لا أنظر بعيدا . لا أسمع أكثر مما يقوله الجيران . ولست أكثر ذكاء من مـعلمى . ولكننى أعـيش . أعيش . وإذا كنت قد فشلت فى حياتى ، فمن المسئول ؟

(تستطرد بعد انصراف الضباط) هل تعرفونه ؟ لا ، لا أقصدكم ؛ لأن مكانكم هناك فى مهب الريح . إننى أضحك على نفختكم الكذابة . على أناقتكم وزينتكم . فخامتكم وسمتكم كالديوك المخصية . والطريقة التى تتكلمون بها ؟ كلام معسول - وهباء . ماذا فعلت إذن ؟ تعبت وشقيت لأكون امرأة صالحة خيرة . فلم تكن النتيجة إلا الشر والفساد . أليس كذلك ؟ أردت أن أعيش مع زوجى فى أمان . تعب وشقى بقدر طاقته - لكنه ذهب - لماذا ؟ هل تعرف قوانينكم سبب ذلك ؟ أتستطيع عدالتكم أو طيبتكم أن تخبرنى ؟ أيها النواطير . إننى أضحك كلما رأيتكم تفغرون أفواهكم . - أين ذهب الرجل إذن ؟ هسوى لى ! اسمعنى ! اخرج من مخبئك ! لن يأتى زوجى لن يأتى . لقد مات . حجرا صار ، كومة تراب ، زوجى مات ، هسوى لى لن يأتى ، لقد ذهب باختياره . وأنت ذهبت أيضا ، أيها الجبان ، أيها الخامل الكسول . أيها البهيم العقيم . اذهب إلى القتلة ، فما أنت إلا واحد منهم

هل تصورت أنني سأبكي عليك ؟ لا تستسلم للأوهام . سأعبىء الكوخ بالدخان لتخرج منه رائحتك النتنة . ليتحول العالم كله إلى دخان يفترس الأعين ، حتى يتخلص من نتن هذا الرجل - أنتم يامن فوق السور ! أيها المطرزون بالذهب - يا أصحاب القوانين الجميلة والحكمة الجميلة والأخلاق الجميلة - لم لا تفسرون لى السبب فى انتشار العفن الفظيع فى العالم كله ؟ إنكم تشمخون بأنوفكم فى الأعالى وتشمون مالا أشمه ، ولابد أنكم تعرفون السبب ، أف أيتها الجثة النتنة العفنة المخضرة التى يلتهمها الدود ، إننى أسد أنفى وأبصق عليك (تتجه إلى السور) دعونى أدخل ! افسحوا لى الطريق ! وأنت أيها السور ، أيها السور السميك ، ابتعد ! ابتعد ! أيها السور السميك العظيم القديم الغبى ! أنا فان شين - تينج أقف هنا تحتك . لا أريد أن أبقى واقفة فى مكانى أريد أن أخترقك وأنفذ فيك . سأظل ألطمك برأسى حتى تتهدم يامن أكرهك أشد الكراهية . ما الذى يمنع أن أعيش مع

الرجل أيها السور ؟ ولماذا ذهب ؟ لماذا لا يفهم بعضنا بعضا ، ولماذا تقف هنا أيها السور ؟ ولماذا أنا هنا بينما الرجل على الجانب الآخر ؟ لماذا خلت جميع القوانين من كل قيمة ؟ وتجردت كل النوايا الطيبة من أى قيمة ؟ لماذا أصبح الأمل كله عدما ، والحنان عدما ، والذكاء عدما ، والحب عدما ، عدما ، عدما أجبنى على سؤالى ! لماذا تقف هنا أيها السور ؟ لا تلذ بالصمت ! لماذا تقف هنا ؟ أجبنى ! أجبنى ! (تدق على السور بغضب جنونى) إننى أكرهك . أبصق عليك . أضحك عليك . ألعنك . أنا . أنا . أنا . أنا . أنا . أنا . أنا .

(يدخل أحد الجنود المكلفين بالحراسة ووجهه مغطى بقناع ، ولكننا نعرف من صوته أنه هو نفسه الرجل الذى أراد قبل ذلك أن يذهب معها . لقد عاد إلى جموده وبروده ، وتجرد من السمات الشخصية ومن كل تعاطف أو انفعال) يلكز المرأة بحربته ويقول :

الجندى : اذهبى ! لن يسمعك أحد !

(تقشعر المرأة فزعا وتحدق فيه)

(ستار)

تانكريد دورست

فرناندو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب

(محاولة للكشف عن الحقيقة)

(عن قصة للفيلسوف والشاعر الإسبانى)

ميجيل دى أونامونو (١٨٦٤ - ١٩٣٦)

(بعنوان : رجل لا ينقصه إلا كمال الرجولة)

وكتبت المسرحية بالتعاون مع

أورزولا ايلر

صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢

عن دار النشر زور كامب بمدينة فرانكفورت (على نهر الماين)

الشخصيات

- فرناندو كراب
- جوليا
- الأب
- الدوق
- طبيبان للأمراض العقلية والنفسية .

- ١ -

(جوليا . الأب)

جوليا : فرناندو كراب أرسل إلىّ هذا الخطاب .

(تمد يدها بالخطاب لأبيها)

الأب : (يتصنع الدهشة) : هكذا ؟

جوليا : اقرأه .

الأب : وما الذى قلته رداً عليه ؟

جوليا : (نافدة الصبر) قلت لك اقرأه .

الأب : إنه رجل يتقرَّب منه الجميع ، والجميع يتكلمون عنه فى كل مكان منذ أن رجع من أمريكا ومعه هذه الثروة الضخمة . كم من فتاة فى ربيع العمر سيسعدها أن تتلقى منه خطابا ، كلهن بلا استثناء .

جوليا : اقرأه .

الأب : آه . الخطاب موجه لك أنت ، يكفى أن تذكرى لى ما جاء فيه ، لقد قرأته بالفعل .

جوليا : إنه خطاب قصير .

الأب : وهو لا يلف ولا يدور . شخصية قوية حازمة . يمكننى أن ألاحظ هذا من خطه .

جوليا (تقرأ عليه) آنستى الكريمة . . .

الأب : " آنستى الكريمة " ، أهذا ما كتبه ؟ بلا لف ولا دوران . لا ديباجة ولا عبارات طنانة .

جـــوليـــا : (تواصل القراءة) " سمـعت أنك أجمل امـرأة فى المدينة التى استقر بى المقام فيها منذ فترة قصيرة ، وقد رأيتك عندما كنت تتمشين مع أبيك فى المتنزه "

الأب : آه . هل رآنا هناك ؟

جـــوليـــا : (مستمرة فى القراءة) ما سمـعته صحيح بـالفعل . فأنت أجمل الجميلات . سوف أتزوجك ، فرناندو كراب "

الأب : إنه ينطلق مباشرة إلى هدفه . شخصية حازمة .

جـــوليـــا : كم لبثنا يوم السبت فى المتنزه ؟

الأب : آه . لا أذكر .

جـــوليـــا : أبديت رغـبتى فى الرجـوع للبـيت ، لكننى اضطررت لقطع الطريق الواسع المحفوف بالأشـجار مرتين . أنت الذى فرضت علىّ هذا .

الأب : معلوم أن الهـواء المنعش مفيد للصحـة . إنك تلازمين البيت كثيرا ، تقرأين وتسرحين مع خيالاتك .

جـــوليـــا : اتفقت معه على كل شىء .

(تقذف الخطاب فى وجهه)

الأب : أرجوك يا جوليـا ، أرجوك يا حبيبتى ، أخـبرينى ماذا قلت فى ردك عليه ؟

جـــوليـــا : ها .

الأب : لا أعتقد أنك قلت له " ها " . فأنا أعرف أنك بارعة فى كتابة الخطابات وخيالك خصب .

جــــوليــــا : سأسمعك ما قلته لفرناندو كراب : " سيدى ، فهمت من خطابك أنك اشـتريتـنى من أبى . كم طلب منك مـقـابل كل رطل من لحـمى ؟ مـا ثمن كل كـيلو من وزنى الحى ؟ وهل وافـقت علـى السـعـر المطلوب أم حاولت أن تساوم عليه ؟ إننى أتصور الآن كيف تقلص وجه أبى من شـدة القلق وكيف ارتعشت شفـتاه ، ألم تسقط كـذلك دمعة على خدّه المزرق العـروق ، لمجرد أنك ترددت فى دفع الشـمن المطلوب ؟ ولكنك تعلم أن الرجل المسكين فى قـبضـتك ، وأن الديون التى تثـقل كتفيه تجبره على بيع السلعة بأى ثمن " .

الأب : (متأوها) أنت تمزحين يا جوليا ، أنت تمزحين .

جــــوليــــا : " أم تراك لمحت ابتسـامة عـارضة على وجهـى عندما كنت تراقبنى ، فدفعك هذا لأن تضيف بمحض رغبتك بضعـة آلاف أخرى إلى المبلغ المطلـوب ؟ أؤكد لك يا سيدى أن أسنانى منتظمة وأن شحمتى أذنىّ جميلتان ، ناهيك عن أمور أخرى لا تسـمح آداب اللياقة بالكشف عنها . ولكنى أنصحك إذا حـضرت إلى بيت البائع ، وهو أبى ، بأن تدقق فى فـحص السلعة قبل تسـجيل المبلغ النهائى فى عقد البيع " .

الأب : (مفزوعا) جوليا .

جــــوليــــا : الا يعبر هذا عن رأيك يا أبى ؟ لقد تصورت هذا .

الأب : أنت قاسية القلب ، تسخرين من خدىّ المنتفختين بالعروق الزرقاء . . . أنا الذى أقترب من الموت ، أجل من الموت ، من شدة قلقى عليك .

جوليا : لا تتأوه من فضلك وإلا انتابنى الصداع واسودت الحلقات تحت عينى . ربما يبخس هذا من السعر المطلوب .

الأب : يا طفلتى المسكينة . . من المفروض أن تدركى الخطر الذى يمكن أن تتعرضى له إذا لم أهتم بمستقبلك . صحيح أن جمالك يشبه جمال فكرة من أفكار الرب ، أجل إلى هذا الحد وصل جمالك ، ولكن رأسك مزدحم بالأفكار الغريبة التى تقلقنى . إنك تصدمين الناس وتلطمين وجوههم بمثل هذه التهيؤات العجيبة .

جوليا : التهيؤات ؟

الأب : هل يعقل أن ترد امرأة بمثل هذه الحماقات على طلب الزواج من رجل ثرى ومرموق كهذا الرجل ؟ لابد أن أبذل غاية جهدى لإعادة الأمور إلى نصابها .

جوليا : لست ملزما بهذا .

الأب : تهيؤات عجيبة . طالب مسكين لا يحتكم على شىء وليس له أى قيمة ، طالب لا تكادين تعرفينه ومع ذلك تطلبين منه ببساطة أن يخطفك . ألا يحق لى أن أصف هذا التصرف بأنه شىء عجيب ؟ أما هو فيستولى عليه

الفزع ويقول : نعم . أنا تحت أمرك ، سأخطفك .
ولكن من أين نعيش ؟ وأنت ؟ ماذا كان ردك عليه ؟

جوليا : وماذا كان ردى ؟

الأب : قلت له : لننتحر معا .

جوليا : يستحيل عليك أن تعرف ما قلت .

الأب : بل أعرف ، وكل الناس تعرف . لقد حكى الحكاية لكل من هب ودب ، هذا الشاب البائس المشوش العقل . المدينة كلها تعرف هذا . ثم إنه لم يرجع . لابد أنه قال لنفسه : لا أريد أن أموت .

جوليا : ثرثار غبى .

الأب : اسمعينى يا حبيبتى . أين هو الإنسان الذى يريد الموت ؟ لا أحد يريده ، ولا أنا أيضا ، فكل إنسان يبحث عن حظه فى الحياة ويتلهف على نسمة من السعادة . انظرى إلى أبيك العجوز . إنه يضحك ، لا يتخلى عن التمسك بالأمل ، رغم أنه ، وهذا تعبير مخفف ، لا يحتكم على شىء ، على الأقل فى الوقت الحاضر .

(يطرقع بأصابعه ويضحك بمرارة)

جوليا : كف عن هذه الطرقعة !

الأب : حقا . إننى أطرقع بأصابعى . إنها عادة سخيفة لو صرف فرناندو كراب نظره عن الموضوع ، لو فعل هذا بسبب خطابك المخزى فسوف أشنق نفسى . (ينصرف)

(جوليا . فرناندو كراب)

فرناندو كراب : (يدخل) لقد أرسلت إليّ خطابك ، وأعجبت به إعجابا شديداً .

جـــوليـــا : لم يكن هذا هو الهدف منه .

فرناندو كراب : أرى من هذا الخطاب أننا ستتفاهم على أحسن وجه .

جـــوليـــا : ولكن خطابك لم يعجبنى .

فرناندو كراب : من المعروف لدى الجميع أن فرناندو كراب يحصل على كل مـا يريده . أنت أجـمل امـرأة فـى المدينة ، وربما كنت أجمل امـرأة فى البلد كلها . أريد أن أتزوجك . وهأنذا . (تبقى جوليا صامته لا تتحرك)

فرناندو كراب : (يبدو أن صـمـتـها أثار القلق فى نفـسـه . يتـجه نحـوها بعد فتـرة من الوقت يتفحصها بنظراته ، ثم يقول بلهجة موضوعية جافة) ألست بخير ؟

جـــوليـــا : أجل بخير . . . كل شىء على ما يرام .

فرناندو كراب : ولكنك ترتجفين . يبدو لى هذا .

جـــوليـــا : الدنيا برد . . الجو هنا يميل للبرودة .

فرناندو كراب أنت مخطئة . إنه دافىء .

جـــوليـــا : حقا ؟

فرناندو كراب : أنت ترتجفين من القلق .

جـــوليـــا : ومم القلق إذن ؟

فرناندو كراب : متى ؟
جـــوليـــا : ولماذا أقلق منك ؟ لا . قطعاً لا !
فرناندو كراب : بل تشعرين بالقلق منى (تنفجر جوليا باكية . يتطلع فرناندو كراب إليها بهدوء ثم يقول) هل تتصورين أننى وحش ؟ ابعدى يديك عن وجهك ! انظرى إلىّ ! - إن أعدائى فقط هم الذين يخشوننى .
جـــوليـــا : إننى أعرض للبيع !
فرناندو كراب : هكذا ؟ ومن قال هذا ؟
جـــوليـــا : أنا التى أقوله ! - وماذا يملك أبى المسكين - إنه مفلس ولابد أن يدخل السجن . ولكن قبل أن تقبض الشرطة عليه ، قبل أن يسحبوه والقيود الحديدية فى يديه أمام صفوف المتطفلين والشامتين ، قبل أن يحدث له هذا سيشنق نفسه . أنا واثقة من هذا .
فرناندو كراب : لا داعى لكل هذا .
جـــوليـــا : أنت بأموالك الطائلة . . أموالك التى تعرضها فى كل مكان ! تفتح محفظتك ، وتلوح بالأوراق النقدية ، وتقذف بها من الشرفة على رؤوس الناس لكى يحنوا ظهورهم ويزحفوا على الأرض لالتقاط ورقة واحدة من الوحل .
فرناندو كراب : أبوك كان منشرحاً وفى أحسن حال . لقد رتبت كل شىء ودفعت كل شىء .
جـــوليـــا : دفعت كل شىء ؟

فرناندو كراب : أجل . كم كان المبلغ ؟ لقد نسيت .

جـــوليـــا : معنى هذا أنك اشتريتنا بالـفعل ، معناه أننا نعيش الآن من مالك ؟ أليس كذلك ؟

(تنزع الشال من حول رقبتها)

وهذا الشـال الذى أحضـره أبى أمس وأعطاه لى ، ألم تشتره أيضا من مالك ؟ والحـذاء ؟ حتـى الحذاء أيضا !

(تخلع حذاءها وتقلف به رأس فرناندو كراب)

فرناندو كراب : ألاحظ الآن يا جوليا أن قدميك جميلتان جدا . .

جـــوليـــا : لن تحصل علىَّ أبدا . أبدا . أبدا ! إلا إذا مت .

فرناندو كراب : ولكنك تحبيننى يا جوليـا . أنت تحبيننى الآن بالفعل ! ولهذا ستتزوجينى .

جـــوليـــا : باعنى ! واشتريتنى !

فرناندو كراب : تتصورين أننى أملك المال ، وأنك أنت السلعة .

جـــوليـــا : (صارخة) أجل ! أجل !

فرناندو كراب : أنا لم أعـرض علـى أبيك أى شـروط عنـدمـا سلمتـه المـال . لم أطالب بأى شىء . أترفـضين أن تحـبينى ؟ ولكن هذا مـستحـيل . مسـتحيل أن يـرفض حبى أى إنسان .

(صمت طويل . جوليا تبكى . صمت)

جـــوليـــا : (تهمس فى صوت خائف) افعل معى ما تشاء .

فرناندو كراب : ما الذى تقصدين بهذا ؟ ماذا تعنين ؟

جـــوليـــا : لا أدرى ، لا أدرى ماذا أقول .

فرناندو كراب : وما معنى أن أفعل معك ما أريد ؟

جـــوليـــا : معناه .. لا أدرى ..

فرناندو كراب : أنا لا أشــترى عــاهرة مـن الشــارع . بيع وشــراء ! - هـراء ! إنه زواج عـن حب . أنـت تحـبيننى ، ولـهذا تبكين ! لقد بدأت تفهمين .

جـــوليـــا : وقَبِلت الزواج منه ..

- ٣ -

(جوليا . فرناندو كراب)

جـــوليـــا : أى نوع من الرجال أنت ؟

فرناندو كراب : وماذا عسى أن أكون ؟ أنا هو أنا ، فرناندو كراب .

جـــوليـــا : هذا ما تقوله دائما . لم أسمعك أبدا تتكلم عن طفولتك . ولا أعرف أى شيء عن والديك .

فرناندو كراب : ليس لى والدان . فعائلتى تبدأ بى . وأنا الذى صنعت نفسى بنفسى .

جـــوليـــا : انظر إلى يدى .

فرناندو كراب : أصابع رقيقة ورشيقة .

جـــوليـــا : لقد ورثتها عن أمى .

فرناندو كراب : وأحيانا تتقلص فجأة وتتحول إلى قبضتين صغيرتين قاسيتين غاضبتين . هذا شيء يمتعنى ويسلينى . .

جـــوليـــا : صحيح . فعندما أفكر فى شيء تنقبض يدى .

فرناندو كراب : وقبل أن تدخلى حجرتى لا تطرقين الباب بعظمة إصبعك كما يفعل غيرك ، وإنما تخبطين بأظافرك على الخشب .

جـــوليـــا : مثل جدتى تماما . كانت هذه هى عادتها . والأنف الجميل ورثته عن أبى .

فرناندو كراب : هذا شيء لا يهمنى . إنه جميل ، لانظير له .

جـــوليـــا : والخيـال ورثته عن أمـى . فالاستـمتـاع بالانطلاق مع الخيـال شيء مألوف فى عـائلتها . يـحكى عن إحدى خالاتى أنهـا لم تضع قدمـها أبدا على عتـبة بيتـها . كانت تقول باستمرار : لماذا أغادر بيتى مادمت أستطيع أن أتصـور كـل شـيء فـى رأسـى ؟ إن هـذا أمـتـع بكثـيـر . وممن ورثت أنفك يا فـرناندو ، وهذا الذقن المشقوق الذى يعجبنى ؟

فرناندو كراب : يعجبك ؟

جـــوليـــا : ألا تتذكر شيئا عن طفولتك ؟

فرناندو كراب : الطفولة لا تعنينى . أنا من أريد أن أكونه . (صمت)

جـــوليـــا : (بحـذر) أود أن أسـالك عن شيء آخـر يا فـرناندو . ولكنى لا أجد فى نفسى الشجاعة .

فرناندو كراب : وما الذى يمنعك من السـؤال ؟ أنا لن أفترسك . ولم أشعر أبدا من كلامك بأنك جرحتنى مرة واحدة . أنت تعرفين هذا بالطبع .

جـــوليـــا : أنا لا أشكو من شيء .

فرناندو كراب : لم يبق إلا أن تشكى أيضا !

جـــوليـــا : لا . أنا لا أشكو من أى شيء . . . لكن . .

فرناندو كراب : هيا اسألى وخلصينى !

جـــوليـــا : الأفضل أن لا أسأل . . .

فرناندو كراب : قلت لك اسألى . أنا أريد أن تسألى .

جـــوليـــا : مادمت مصرا فسوف أسأل : هل صحيح أنك كنت متزوجا ؟

فرناندو كراب : (يقطب جبينه) أجل .

جـــوليـــا : وزوجتك الأولى ؟

فرناندو كراب : ماتت من سنوات طويلة . كنت أرملا عندما تزوجتك (متشككا) هل حكى لك أحد عن شيء ؟

جـــوليـــا : كلا ، ولكن .... لا ، لا شيء .

فرناندو كراب : سمعت شيئا مما يحكونه - تكلمى إذن !

جـــوليـــا : أجل سمعت شيئا محددا .

فرناندو كراب : وصدقته ؟

جـــوليـــا : قطعا لا . لم أصدقه .

فرناندو كراب : هذا أمر طبيعى ! فلم يكن ذلك من حقك ! لم يكن فى إمكانك !

جـــوليـــا : لا . بالطبع لا . لم أصدق أبدا .

فرناندو كراب : قلت لك هذا أمر طبيعى . فمن يحبنى كل هذا الحب ويكون لى أنا وحدى لا يمكنه أن يصدق هذه الكذبة الفظيعة .

جـــوليـــا : نعم . إننى أحبك - لا أتمنى سوى شيء واحد .

فرناندو كراب : تمنى كل شيء .

جـــوليـــا : آه ليتك قلتها لى مرة واحدة .

فرناندو كراب : " يا حبيبة قلبى ، يا كنزى الصغير ، يا حلوتى ، يا أعز الناس عندى ... " هل يفترض منى أن أقول

شيئًا كهذا ؟ مثل هذه الكلـمات الضحلة الحمقاء ؟ إنها لا توجد إلا فى الروايات ، وأنا أعلم أنك كنت مغرمة بقراءة الكتب .

جـــوليـــا : ومازلت أقرأها بشغف . .

فرناندو كراب : اقرأى كما تشائين ! اقرأى ما يحلو لك ! سوف أصدر أوامـرى ببناء كـشك فى طرف الحـديقـة بالقـرب من شجـيرات الورد . وسوف أحضـر لك كل الكتب التى ألفت منذ عهد آدم وحواء !

جـــوليـــا : ما أجمل هذا !

فرناندو كراب : كلمـا قلل الناس من كـلامهم عن الحب ، كـان ذلك أفضل بكثير .

جـــوليـــا : آه يا فرناندو .

فرناندو كراب : ما الذى حكوه لـك ؟ هل قالوا إننى فى شبـابى كنت متزوجا فى المكسيك . .

جـــوليـــا : وكيف كان منظرها يا ترى ؟

فرناندو كراب : من امرأة ثرية جداً وأكبـر منى فى السن ، من مليونيرة عجوز ؟ أهذا ما قالوه ؟

جـــوليـــا : أجل . .

فرناندو كراب : وقالوا لك إيضا إننى أجبرتها على كـتابة وصيتها وعلى تعيينى الوريث الوحيد لها ، وإننى قتلتها بعد ذلك . . هل قالوا لك شيئا كهذا ؟

جـــوليـــا : زعموا أنك خنقتها فى الفراش . بل ادعوا أنك خنقتها بقبعتك .

فرناندو كراب : وصدقت ما قالوه ؟

جـــوليـــا : كلا ! أبدا . أبدا !

فرناندو كراب : بقبعتى ! بقبعتى ! (يهز قبعته وهو يلوح بها)

جـــوليـــا : لا أتصور أبدا أنك يمكن أن تقتل زوجتك .

فرناندو كراب : أرى الآن أنك أذكى مما تخيلت . وما الذى يدعونى لقتل زوجتى ، وهى شىء أملكه ؟

جـــوليـــا : (تكرر فى جمود) " وما الذى يدعونى لقتل زوجتى وهى شىء أملكه ؟ "

فرناندو كراب : هل أنت ببغاء ؟ لماذا تكررين ما أقول ؟

جـــوليـــا : لا أدرى .

فرناندو كراب : وما الذى يحملنى على هذا ؟ كانت ثروتها تحت يدى ، ومناجم النحاس التى تملكها تحت تصرفى . فلماذا أقتل زوجتى أنا ؟ لم يكن لهذا أى داع .

جـــوليـــا : ومع ذلك تقتل كثير من النساء بأيدى أزواجهن .

فرناندو كراب : ربما . ما شأنى أنا بهذا ؟

جـــوليـــا : بسبب الغيرة مثلا ، أو للانتقام من زوجة لها عشيق .

فرناندو كراب : الأغبياء هم الذين يشعرون بالغيرة . إنهم بلهاء عاجزون ، ولديهم ما يبرر ذلك أيضا ! أما أنا . . . فلا أعرف ما هى الغيرة . شعور . . لابد أنه شعور من نوع غريب . . لست أدرى ما الذى يشعر به الناس

عندمـا يحـسـون بالغـيـرة ، زوجـتى أنا لا يمكن أن
تخـدعنى . زوجـتى الأولى لم تسـتطع ذلك ، وأنت
أيضا لا تستطيعين ، ولن تتمكن من ذلك أى امرأة !

جـــوليـــا : لا تتكلم بهذه الطريقة . فلنتكلم عن شىء آخر .

فرناندو كراب : ولم إذن ؟

جـــوليـــا : يؤلمنى أن تتحدث معى بهذا الأسلوب . يخيل لى أنك
تكاد تشك فى . وهذا يحزننى .

فرناندو كراب : ولكن الموضوع يسلينى .

جـــوليـــا : وكأنما خطر ببالى ولو فى الحلم أن أخدعك !

فرناندو كراب : ولكننى متأكد من هذا ، وهو بالضبط ما أقوله !

جـــوليـــا : لم أفكر فى ذلك أبدا !

فرناندو كراب : يستحيـل عليـك أن تفكـرى فيـه ، أعلم هذا تماماً . لا
يمكنك أن تخدعينى - لقد ماتت زوجتى الأولى . لم
أكن فى حاجة لقتلها . الآن عرفت كل شىء يا جوليا

جـــوليـــا : أجل . (صمت)

فرناندو كراب : تنتابك حالات عصبية .

جـــوليـــا : أنا بخير .

فرناندو كراب : أجفانك متورمة ، أرينى !

جـــوليـــا : فرناندو . . .

فرناندو كراب : الاحـظ الآن وأنـا أنظر إليك أنك أغـمضت عـينيك .
أما زلت تفكرين فى تلك القصة الغـبية ؟ لقد شرحت
لك كل شىء ، كما فهمت كل شىء .

جـــوليـــا : أنا حامل .

فرناندو كراب : أجـل . توقــعت هذا . الآن ضـــمنت أن يـكون لى وريث . وسوف أجعل من ابنى رجلا مثلى .

جـــوليـــا : ولكننا لا نعلم إن كان ابنا أو بنتا .

فرناندو كراب : ابن . أنا واثق من هذا .

جـــوليـــا : وإذا جاءت بنتا ؟

فرناندو كراب : قلت لا . من المؤكد أنه ابن .

جـــوليـــا : وحصلت على الطفل . كان ولدا .

فرناندو كراب : ياللطفل الرائع الذى وهبته لى !

جـــوليـــا : لماذا لا تقبل طفلك ؟ لقد قدمت لـه الهدايا الثمينة عند ولادته ، ووزعت المال على النـاس ، غمـرتنى أيضـا بالهدايا مما جعلنى أعتقد أنك فى غاية السعادة بابنك ، ومع ذلك لم تفـكر مـرة واحـدة فى أن تحـــمله على ذراعيك وتقبله .

فرناندو كراب : التقبيل والحركـات المفتعلة تضايق الأطفال . إننى أنتظر حـتى يمكنه أن يفهـمنى عندمـا أتكلم معـه ، عندئذ سيكون لى كلام كثير .

جـــوليـــا : وأنـا أتكلم مـعـه طـول الوقت . أتكلم مـعـه بيـدى وقبلاتى .

- ٤ -

جوليا – فرناندو كراب

فرناندو كراب : هل عاد هذا الدوق إلى هنا ؟

جـــولـيــــا : هذا الدوق ؟ أى دوق تقصد ؟

فرناندو كراب : هذا الذى يـأتى فى هذه الأيـام . واحـــد من أولـئك الثرثـارين المتسكعين . إنه لا يكف عن الثـرثرة فى كل مكان ، ولكنه عاجز حتى عن ترميم القصر الذى ورثه عن عائلته . فالسقف آيل للســقوط ، وشبابيك النوافذ مخلعة ، والبـوابة الفخمة مســورة بالأسلاك الشائكة ، وهو مضطر أن يدخل ويخرج مــن الباب الخلفى ، لقد تفرجت عليه ، كما عرض علىّ أن أشتريه أنقاضا .

جـــولـيــــا : نعم . هذا الدوق كان هنا .

فرناندو كراب : ليحضر كـثيرا ، إن هذا يسليك . على الأقل يمكنه أن ينفع فى شىء . هذا الهذوءة .
(مستاءة) ولكنه مهذب جدا ولطيف .

جـــولـيــــا : مهذب ، ولكن هزوءة .

فرناندو كراب : وهو مثقف جدا . يكتب أيضا .

جـــولـيــــا : مثقف أو غير مثقف . ولكنه صعلوك يثير السخرية .

فرناندو كراب : لقد كتب بعض القصائد .

جـــولـيــــا : القصائد – شىء يناسبه طبعا .

فرناندو كراب : ويمكن التحدث معه حـديثا رائعا ، فهو واسع الاطلاع

جـــولـيــــا : على الأدب وعلى أشياء أخرى .

فرناندو كراب : وهذا أفضل . ما دام يسليك .

جـــوليـــا : ليست التسلية هى الكلمة الصحيحة . إنه تعس جدا .

فرناندو كراب : آخ . لا بد أنه يحاول إثارة الاهتمام ، فـهو يتعذب . ألم يؤلف قصيدة عما يعانـيه ويدسها لك خفية ؟ تحت فنجان القـهوة مثـلا ؟ إن الذين يحسـون بآلامه قليلون جدا ، ولابد من مواساته . لابد من التعاطف معه .

جـــوليـــا : نعم . إنه حـاس جدا .

فرناندو كراب : جدا . حـاولى أن تواسيه . تكلـمى معه عن مـشاكله النفسية .

جـــوليـــا : إنك تسىء الظن به . فـهـو فى الواقع إنسـان من نوع فريد . والجـرح الدفين الذى يعانى منه هو أن زوجـته تخدعه .

فرناندو كراب : الدفين ؟ كل النـاس تعـرف هذا . وهى النمـــرة التى يتـسول بهـا فى كل مكان ؛ لأنه يطمع من ورائهـا فى التقرّب من قلوب الهوانم .

جـــوليـــا : لا افهم كيف يمكن لامرأة أن تفعل بزوجهـا شيئا كهذا وتفضحه علنا .

فرناندو كراب : أما أنا فأفهم ذلك تماما ! لأنه صعلوك هزوءة ! ربما لم تـزوجه إلا بسـبب لقب الدوق الذى يطلقونه علـيه ، وهى الآن تشـعر بالملل القـاتل معـه . لا توجد امـرأة يمكنها أن تفعل هذا معى !

جـــوليـــا : (بعد تردد) وإذا فعلت ؟ كيف يمكن أن تسـير الأمور فى هذه الحالة ؟

فرناندو كراب : سخافات . فأنا لست رواية مسلسلة . سخافات . وحياتنا ليست وهما من صنع الخيال ؛ يمكنك أن تتجاذبي عنه أطراف الحديث مع هذا الدوق ، فهي حياة سوية جدا. وإذا تصورت أنك تثيرين غيرتي ، فأنت مخطئة ! يصعب تجربة هذه الألعاب معي ! معي أنا ! سلّي نفسك كما تحبين مع هذا الهزوءة . فليس له أي قيمة عندي .

جوليا : (تتنحى جانبا وتكلم نفسها) هل صحيح أنه لايكترث على الإطلاق بأن الدوق يتردد عليّ ، وأننا نجلس كثيرا في الكشك طوال العصر ونتبادل الأحاديث معا ؟ هل يمكن أن يكون غير مبال إلى هذا الحد ؟

هل يحبني ؟ أم لا يحبني ؟ إن السؤال يعذبني .

(توجه الكلام لفرناندو كراب) نحن مدعوان عنده غدا.

فرناندو كراب : وماذا أفعل هناك ؟

جوليا : نحن مدعوان على الشاي. ألا تريد أن تحضر معي ؟

فرناندو كراب : على الشاي ! لا ، أنا لا أشرب الشاي إلا عندما أشعر بالمغص . اذهبي أنت وحدك ، وواسي الدوق . ربما تجدين الدوقة أيضا هناك ، مع عشيقها الذي جاء عليه الدور . هذا هو الزواج الحديث ! شيء لطيف ! اذهبي على راحتك .

- ٥ -

جوليا . الدوق

الـــــــدوق : (مهموما) حياتى أشبـه بتمثيلية هزلية سـمجة . فالمدام تتـهادى فى مـشيتـها كـأنها تحـجل ، بين غرفـة النوم والصالون ، وليس عليها سـوى قميص النوم ، قميص النوم فـقط . وتظل تدندن أيضـا . لمـاذا تدندنين دون توقف ؟ أدندن لأننى أشعر بالوحدة ، لأن ضوء الشمس يسطع خلال النـافذة . طبقـان وكوبان . لمن ؟ لك . وبطيخـة طازجة . ولكن هنـاك من سبقنى وأكـل منها شريحة . ياللسخرية ! وفجـأة أسمع عطسة مختنقة . هل جاءت من ناحية الدولاب ؟ وأفتح الدولاب بحجة تغيير رباط العنق . لا أحد . هل أفتش تحت السرير ؟ هل أهين نفسى إلى حد الاشـتراك فى هذه المهزلة ؟ أم أشد السـتـائر عنوة لأواجه برجل غبىّ يبتـسم بشماتة ، رجل لا أعـرفـه ، أو ربما يكون أعز أصـدقـائى ، أو ساعى البـريد ، أو معلم التنس ؟ من الـسـهل علىّ أن أرمى العاشق من النافـذة أو أطردها فى الشارع . وهى نفسـها تتمنى هذا ، فهى تحب الفـضائح ، والإثارة ، والصـيـاح . ولكننى لا أفـتـح فـمى بكلمـة وأهرب بنفسى. فأنا لا أصلح لهذه المسخرة السخيفة .

جـــــولـيـــــا : كيف وقعت فى هذه المصيبة ! ؟

الـــــــدوق : تقصدين لمـاذا تزوجت هذه المرأة ؟

جـــولـيـــا : أجل ، لمـــاذا ؟

الـــــــــدوق احكمي على بما تشائين .

جـــولـيـــا : لاشك أنها كانت شديدة الفتنة ؟

الـــــــــدوق : ومـــازالت . ولكن لم يكـن هذا هو المهم . كـــانت ساذجة تماما ، وهذا هو الذى أعجبـنى فيها . مخلوقة على الفطـرة . كـانت خـاليـــة الذهن من أى شيء ، وتخيلت أننى سأستطيع أن ألقنها كل شيء من البداية . اعتقدت أن فى إمكانى أن أوقظ وعيها ،وأثقف عقلها ، وأغرس في روحهـا الرقة والحساسـية . وتصورت أننى سأنفخ فيها - إذا جار القول - أنفاس الحياة ، وأجذب انتبـاهها لأمور لم يكن لديهـا أى فكرة عنها ، وأدفىء قلبهـا بالحماس لمعجـزات الموسيقى ، وجمـال اللغة ، وروعة الفلســفة أيضا إذا اسـتطعت . اعتقـدت بالفعل أننى سأتمكن من تحقيق ذلك .

جـــولـيـــا : بيجماليون ؟

الـــــــــدوق : حتى اكتشفت أن سذاجتها الجميلة لم تكن إلا تبلدا فى الطبع ، وأن مرحـها لم يكن سـوى خليط من الأغانى الشائعة فى الأوبريتات .

جـــولـيـــا : يعزّ عليّ أن تقاسى هذا العذاب ياعزيزى الدوق .

الـــــــــدوق : أنا الذى طالما قاسيت من الفجاجة والابتذال !

جـــولـيـــا : خدعة بشعة .

الـــــــــدوق : إن روحي مـرهقـة حـتى الموت . لكـننى لا أشكو من شيء . وليس من حقى أن أشكو . كان على أن أعرف

أن هناك صنفا من البشر المصابين بتبلد الإحساس ، ومع ذلك يحسون بأن تبلدهم يدل على نقصهم ، كما يشعرون لهذا السبب بالحاجة التي تدفعهم لتعذيب الآخرين ، بل ربما جعلتهم يستمتعون بتعذيبهم حتى يدفئوا قلوبهم الباردة بنيران الألم الذي يعانونه على أيديهم .

جوليا : آه ياعزيزي الدوق! إن ذكاءك الحاد ينفذ في الأعماق .

الدوق : الألم الذي نقاسيه في الحياة يهبنا من التبصر والمعرفة ما يعجز عنه السعداء الراضون عن أنفسهم . اقرأي ليوباردي ، اقرأي الشعراء الذين يعيشون بيننا ويتعذبون. إن كل شعر عظيم ينهل من الشعور الأليم بالحياة ، من الحزن الفاجع .

جوليا : (فجأة) هل أنا تعيسة ؟

الدوق : أأنت التي تسألينني ياجوليا ؟

جوليا : آه ! مجرد فكرة خطرت على بالي . أرجو أن تنسى ما قلت .

الدوق : أنا لا أستطيع أن أحول أفكاري عنك .

جوليا : وما هي الأفكار التي تدور في رأسك ؟

الدوق : أحيانا أتخيل أننا تعارفنا قبل ارتباطي بهذه الإنسانة السخيفة التي جعلت حياتي جحيما ، وقبل أن . . .

جوليا : لا يمكنك المقارنة بيننا !

الدوق : ومع ذلك فإني أعتقد . . . ولكن من الأفضل أن أسكت . .

جـــولـيــــا : أرجوك أن تتكلم . لقد نجحت فى إثارة فضولى .

الــــــدوق : لو كنا التـقينا فى ذلك الحين وتحدث كـل منا للآخر ، إذن لـــ . . .

جـــوليـــا : أتريد أن تقول : إذن لوقَعْتُ فى حبك ؟

الــــــدوق : بلا أدنى شك !

جـــولـيـــا : يا لغرور الرجال !

الــــــدوق : لست مغرورا .

جـــولـيـــا : إنهم جميعا يتصورون أن سحرهم لا يقاوم .

الــــــدوق : لا . ليس هذا صحيحًا .

جـــولـيـــا : لقد قلتها بنفسك الآن .

الــــــدوق : وأقصد بها شيئا مختلفا كل الاختلاف .

جـــولـيـــا : وما وجه الاختلاف ؟ تكلم من فضلك !

الــــــدوق : لم أقـصـد نفـسى بذلـك . حـبى هو الذى كـان من المستحيل مقاومته . حبى !

جـــولـيـــا : آه . هذا اعتراف صـريح بالحب ياعزيزى الدوق . لقد نسيت أننى امرأة متزوجة ، وأننى أحب زوجى .

الــــــدوق : أنت تقولينها بلسانك ، ولكن . . .

جـــولـيـــا : وهل تشك فى ذلك ؟ وأن هذه هى الحـقـيقـة . فهـو رجل رائع . مفعم بالطاقة والحيوية ! عندما يفتح الباب وأراه واقفا أمـامى أجدنى أقول لنفسى : إنـه هو الحياة ذاتهـا ، ولا أملك إلا أن أندفع إليه وألقى بنفـسى بين ذراعيه .

الـــــــــدوق : وهو ؟

جـــولـيـــا : ما معنى « وهو » ؟ إنه هو هذا !

الـــــــدوق : ولكننى أعلم . . . أعنى أننى سمعت . . .

جـــولـيـــا : أنه لا يحبني ؟ ممن سمعت هذا ؟

الـــــــدوق : منك !

جـــولـيـــا : أنا لم أتكلم أبدا عن زوجى !

الـــــــدوق : لقـد تكلمت بعـينيك ، بإطراقـة رأسك ، بحـركـات يديك، بنبرة صوتك ، وبصمتك أيضا . .

جـــولـيـــا : أتريد أن تقول إننى طلبت منك أن تعلن لى عن حبك؟ هذه هى المرة الأخيرة التى تدخل فيها بيتنا !

الـــــــدوق : ناشدتك الله ياجوليا !

جـــولـيـــا : قلت لك هى المرة الأخيرة !

الـــــــدوق : لو أذنت لى بالبـقاء فى الحجـرة المجاورة . فى الظلام الدامس إذا شئت، فأسمع صوت خطاك فى الصالون ، أو ربما أسمع صـوتك ، وأغمض عـينى لأرى وجهك خلف جفنى المغمضين ، وجهك الذى يبتسم لى .

جـــولـيـــا : فى الحجرة المجاورة وفى الظلام الدامس ؟

الـــــــدوق : المهم أن أكون بـالقرب منك . وهو ما قـلته الآن وربما أفزعك . . .

جـــولـيـــا : لا تقل ربما ! لقد أفزعتنى بالفعل !

الـــــــدوق : وتصورت أن اعترافى غرور باطل !

جـــولـيـــا : بالفعل .

الـــــــدوق : هذا خطأ فاحش ! ومن أنا فى النهاية ؟ مـجرد شخص حالم قليل الحيلة . الـلقب القديم . . . حسن . ولكن ما قـيمتـه ؟ النبالة والعائلة،لـيس لى فضل فى هذا . شيء من الثقافة ؟ . . ولكن من المفروض أن يكون هذا أمرا بـديهيا ، شـأنه شأن اللـياقة والـسلوك الحمـيد . حساسية خاصة بالأعمال الفنية بحيث أكاد أحس بكمال الخط واللحن وظلال الألوان إحساسا شبه جسدى ؟ أن بيتين من شعر لوركا كفـيلان باستدرار الدموع من عينى رغما عنى . ولـكن هذا لا يبرر بطبيعـة الحال أن أكون متعاليا . إنه طبع . وهو يجـعلنى أشعر بأنى وحيد . انظرى إلىّ ياجوليا . نظرة واحدة !

جـــولـيـــا : لا .

الـــــــدوق : هل ترين أمامك شخصا لا مثيل لجماله ؟ من المضحك أن يصـدق أحد ذلك ! إننى أنظر إلى نفـسى فى المرآة فأكتشف ظلال الاكتئـاب وعلامات الدمار الخفى الذى يشوه الملامح القديمة المنسجمة . أنظر إليها فأتعرف على المرارة التى ترتسم خطوطها الصغيـرة حول فمى وأتعمد إخفاءها عن عيون الآخرين . ابتسامتى مشبعة بالألم . لا شيء فىّ يسـتحق منك أن تحـبيه ، ومـن حقك أن تحولى عينيك عنى كما تفعلين الآن لو تصورت أن هذا هو الذى يمكن أن يقربك منى .

جـــولـيـــا : لا أدرى عن أى شيء تتكلم .

الـــــــــدوق : أتكلم عن حـبى ، أتكلم عنه دون توقف ، عن حـبى
المتـهـــور المجنون لك ، هذا الحب هو هـديتى لك ،
وليس هو شخصى التافه الذى لا وزن له .
(تضع يديها على أذنيها وتهمس) سم . . سم !
إن أكـثـر الناس عـاجـزون عن الحب . إنهم يطالبـون
بالحب ، إن من حـقـهم أن ينالوا الحب والوفـاء بغيـر
حـدود . يستـولى الواحد منـهم على إحدى الفـاتنات
ويسوقها أمامه : انظروا إلى زوجـتى الجميلة ، تفرجوا
على نمرتى ! ويروح يشدها من قـيدها . انظروا ! إنها
ملكى ! انظروا كيف تطيـعنى ! ولكن هذا لا يثبت أنه
يحب النمرة ، لأنه يزهو بامتلاكها فحسب .

جـــولـيـــا : لا أريد أن أسمع هذا الكلام . .

الـــــــــدوق : بل أنت تسمـعيننى جيدا . . . وتفـتحين أبواب روحك
على اتسـاعها ! إننى أتغـلغل فى أعماقـك ، أنفذ فى
صميم روحك .

جـــولـيـــا : اتركنى فى حـالـى ! إذا جـاء الآن فـجـأة ودخل من
الباب . . .

الـــــــــدوق : لن يأتى ! إنه لا يهتم بك ! وهو يتـركنا وحدنا لأنه لا
يحبك .

جـــولـيـــا : إنه يثق بى ثقة كبيرة .

الـــــــــدوق : بل يثق بنفـسه ثقـة هائلة . إنه لا يعتـقد ، لمجـرد أنه
اسـتولى على كل شيء ، لأنـه جمع من المـال مـا لا

حصـر له - ولست أريد أن أعرف كيف ! - لا يعتـقد أنه يمكن أن يضيع شيئا وضع يده عليه ، إنه عاجز عن تخيل مايدور فى نفس امرأة . وربما كان يحتقرنى . .

جـــــوليـــا : أجل . . إنه يحتقرك !

الـــــــدوق : لقد عرفت هذا . ولكنه يحتقرك أيضا !

جـــــوليـــا : أتريد أن تقتلنى بكلامك ؟

الـــــــدوق : إنـه ، إنه هـــو الذى سيـقتلك . . ولست أول امـرأة قتلها . .

جـــــوليـــا : عار عــليك أن تقول هــذا ! أنت تكذب ! بفظـاعة ! روجـى لـم يقتـل هــذه المــرأة . اذهب الآن ولا ترنى وجهك !

الـــــــدوق : إن الفكرة نفسها تؤلمك . لقد أفزعتك .

جـــــوليـــا : قلت اذهب !

الـــــــدوق : أنا أفهم رغبتك فى الانفـراد بنفسك . وسوف تفكرين فى الأمر طويلا ثم تستدعــيننى مرة أخرى . أؤكد لك أننى لن أتخلى عنك .

- ٦ -

-((جوليا - فرناندو كراب))-

فرناندو كراب : (يدخل) تصورى ما جرى اليوم !

جـــوليــــا : أين إذن ؟

فرناندو كراب : يجب أن أحكى لك الحكاية لتتسلى معى .

جـــوليــــا : (قلقة) أنا مصغية لك .

فرناندو كراب : هل لديك فكرة عن المبارزة ؟

جـــوليــــا : شيء بديهى .

فرناندو كراب : تصورى ! مبارزة فى هذه الأيام ! حفنة أولاد مهووسين تجمعوا فى الغابة فى غبش الضباب وراحوا يتصايحون: « حدد السلاح الذى تريده ! » إلى آخر الجعجعة الفارغة التى لا أطيقها .

جـــوليــــا : (مفزوعة) هلى طلبت أحدا للمبارزة !

فرناندو كراب : وهل خفت ؟

جـــوليــــا : بالطبع - تكلم أرجوك !

فرناندو كراب : لا داعى أبدا للقلق ! أنت تعرفيننى تماما . أليس كذلك ؟

جـــوليــــا : لا أدرى إن كنت أعرفك أو لا أعرفك .

فرناندو كراب : آه ! كلامك مثل نبوءات العرافين ! قلت لا داعى للقلق ، فلست أنا الذى يجرونه إلى هذا التخريف . مبارزة ؟ هل يعقل أن أبارز ؟ أنا فرناندو كراب ؟ لقد طردت الأولاد بطبيعة الحال . « أرسلوا إلى الحساب وتنتهى المسألة » !

جـــــولـيـــــا : أى حساب ؟
فرناندو كراب : أجر الطبيب والتعويض عن الإصابة وكل طلباته .
جـــــولـيـــــا : طلبات من ؟
فرناندو كراب : وإذا أصرّ على المبارزة فعليه أن يشرف ، سأبارزه باللطمات والركلات .
جـــــولـيـــــا : ولكنك لم تقل من هو ؟
فرناندو كراب : هو هذا الـ . . . آخ ! نسيت الآن اسمه ، بل لم أكلف نفسى مرة واحدة بملاحقة اسم السيد المهذب . . .
جـــــولـيـــــا : وكيف نشب الخلاف الذى أدى للمشاجرة ؟
فرناندو كراب : بسبب نكتة . .
جـــــولـيـــــا : مشاجرة بسبب نكتة ؟ لا أتصور أن يصدر هذا عنك .
فرناندو كراب : لم تكن مشاجرة بالمعنى الصحيح . لقد قال نكتته فضربته بالكأس على راسه .
جـــــولـيـــــا : أجل . وهل جرح ؟
فرناندو كراب : سالت كمية من الدم تكفى لملء منديل .
جـــــولـيـــــا : آخ ! ياللبشاعة ! هل أهانك إلى هذا الحد ؟
فرناندو كراب : النكتة ! النكتة (يضحك) !
جـــــولـيـــــا : أرجوك أن توضح. أنا لا أفهم شيئا من كل هذه الحكاية .
فرناندو كراب : قال نكتة . . نكتة عن زوج يرجع إلى البيت ويكتشف فى غرفة النوم . . شىء من هذا القبيل . . المهم أن زوجته ترقد فى الفراش مع رجل ، والزوج نفسة لا

يلاحـــظ ذلـك . . . ثم أفـاجـأ بمن يـقـول : مـثل فرناندو كراب . لقد زعم أنك تخونينني .

جـــوليـــا : آخ ! لا بد أن هذا استفزك وأثار غضبك .

فرناندو كراب : هلى رأيتنى مـرة فى حـالة غضب ؟ هل لاحظت مـرة واحدة أننى خرجت عن طورى ؟

جـــوليـــا : كلا لم أر منك هذا أبدا . ولكن من الطبـيعى فى هذه الحالة أن تنفعل .

فرناندو كراب : آه . الناس يثرثرون كثيرا .

جـــوليـــا : المهم أنك ضربته بسببى .

فرناندو كراب : بسببك ؟ شىء مضحك ! تقولين بسببك ؟ ! كل ما فى الأمر أن ضحكتـه لم تعجبنى ، هذه الضحكة الخـافتة التى لا تكشف حتى عن الأسنان .

جـــوليـــا : يسعدنى بطبيعة الحال أن تثق بى إلى هذا الحد .

فرناندو كراب : طبعا . طبعا ! لا تحملى هما !

جـــوليـــا : ولكن . .

فرناندو كراب : « لكن » ممنوعـة . . فزوجـة فـرناندو كراب سـعيـدة بالتأكيد ! .

جـــوليـــا : أجل . .

فرناندو كراب : الناس ينصـحوننى بمـنع الدوق من دخول بيـتى . هل رأيت أسـخف من هذه النصـيـحة ! مـادام الصـعلوك الهزوءة يسليك، ومادام يقوم بقفزاته البهلوانية الرشيقة ! أما عن رأيى فيه فليس له أى أهمية . المهم أننى مطمئن

إلى أن زوجتى مستمتعة ولا تشعر بالملل أثناء انشغالى بتدبير أعمالى . كلب يوضع على الحجر ! هل نرميه من الشباك ؟! هل نضمن ألا يسقط على رأس أحد ؟ ولكن بكل جدية : أنت بنفسك ستطردين الدوق بمجرد أن تشعرى بأنه أصبح خطرا عليك ، أى عندما تبدئين فى الاهتمام به . أما أنك تعجبينه فهذا شىء بديهى ، لأن الجميع معجبون بك .

جـــولـيـــا : لقد سبق أن منعته من دخول البيت يافرناندو .

فرناندو كراب :هكذا ؟ (يافت لحظة) .

جـــولـيـــا : أجل . ولكنه رجع مرة أخرى .

فرناندو كراب : عظيم ! هذه علامة طيبة !

جـــولـيـــا : ونحن نتقابل الآن كثيرا . عدة مرات كل أسبوع . (فجأة ويعنف) يجب أن تطرد هذا الرجل يافرناندو !

فرناندو كراب : هذا الرجل ؟ هل قلت « الرجل » ؟

جـــولـيـــا : قلت لك يجب أن تمنعه من دخول بيتك . لأننى لو اهتممت به حسب تعبيرك . .

فرناندو كراب : آخ ياجوليا ! لابد أنك تريدين إثارة غيرتى ! تخيلت هذه الأفكار لأنك تعيشين فى عالم رومانسى ، وهذا هو الذى يشوش دماغك ! أعتقد أنك محتاجة لقضاء بضعة أسابيع فى الريف ، بعيدا عن المدينة . الهواء المنعش سيفيد صحتك . وإذا شعرت بالملل ، طلبنا من الهزوءة أن يحضر إلينا . ولم لا ؟ سنسافر غدا .

الــــــــدوق : وسافرا فى اليوم التالى إلى الريف .

- ٧ -

-((جوليا - فرناندو كراب))-

جـــولـيـــا : ماذا أفعل هنا طول اليوم ؟ هل أحدق الساعات الطويلة في الأبقار التى تسرح هناك على العشب بين الأحجار المتناثرة ؟ وفى الكلاب التى تزوم وتزمجر لتتخلص من سلاسلها ؟ وأظل أسمع الصليل وأنا مؤرقة فى الليل على فراشى بعيون مفتوحة . والخادمات يزعقن طول النهار سواء فى البيت أو فى الحظائر أو هناك حيث يشطفن الغسيل فى الماء . يزعقن حين يمر واحد من الخدم . بأصواتهن المعدنية القبيحة ! ويستولى علىّ الخوف حين يلاحقنى ألفونسو الأبله ويظل يرفع قبعته وهو يضحك ضحكته الخبيثة . .

فرناندو كراب : أعصابك متوترة جدا ياجوليا .

جـــولـيـــا : لو كان معى على الأقل بعض الكتب أو المجلات ! تقول لى دائما عليك أن تهتمى بالواقع . ولكن كل ما أراه يثير فى نفسى الملل والتقزز . لو كان عندى كتاب واحد على الأقل ! ما الذى منعنى من إحضار عدد منها ! .

فرناندو كراب : وهل منعتك أنا من ذلك ؟ لقد وافقت على اقتراحى بالاستجمام عدة أيام هنا فى الريف .

جـــولـيـــا : لأننى فهمت أن هذه هى رغبتك .

فرناندو كراب : ولكننى لا أحظر شيئا عليك ! هل حدث أن حرمت عليك أى شىء ؟ لست مستبدا ولا طاغية . إننى لا أمنع عنك شيئا ولا أطلب منك أى شىء . .

جـــولـيـــا : أجل . ولا تطلب حتى أن أحبك !

فرناندو كراب : ولكن ياجـــوليـــا . الحب لا يطلـــب ! . هناك أزواج يطلبـــونه من زوجـاتــهم. والزوجـات أيضـا يسـتـجبن لطلبهم. يمثلن أمامــهم المسرحية الحمـقاء المــألوفة التى ينتظرها الـرجل من الزوجـة المحـبـة : نبـرة حلوة فى الصوت ، نظرة حالمة ، اعترافات عاطفية مكرورة وبلا نهاية - أحـيانا تبدو ضعـيفة وباهتـة - وإن لم تختف تماما، وأحيانا تتفجر فجأة فتتصاعد التنهدات والهمسات - غش ونصب ! والأزواج يصـــدقـون أيضـــا ! نصب واحتيال ! الحب لا يطلب من أحد !

جـــولـيـــا : ولكن هل تعتقد أننى أحبك ؟

فرناندو كراب : ليست المسألة مسألة اعتقاد - هذا هو الواقع !

جـــولـيـــا : الواقع ! الواقع !

فرناندو كراب : لقد رأيتنى عندمـا التقينا لأول مرة . وعـرضت نفسى عليك بكل أمانة منذ البداية. أنت الآن تعرفين حقيقتى وتعلمين من أنا ، ولهذا الســبب تحبيننى . لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك . أمـا السفسطة عن هذا الموضوع فـالأفضل أن تجـتـريها مع حـبـيب الروح ولكن ليس معى. يمكنك أن تستدعيه إلى هنا إذا شئت (صمت) .

جـــولـيـــا : هل تصورت أننى لم الاحظ . (تتردد) .

فرناندو كراب : ماذا ؟

جـــولـيـــا : أنك تذهب إلى إحدى الخادمـات التى تعتنى بالأبقار ، الخادمة الســمينة ! واسمها سيـمونا ! لقد بدأت تكون علاقة معها . أعلم هذا تماما . .

فرناندو كراب : وأنا لم أكلف نفسي بإخفاء هذا الموضوع التافه .

جـــوليـــا : في حظيرة الخيول ، خلف باب غرفة الطعام ، في مخزن المكانس والمقشات . .

فرناندو كراب : رائع !

فرناندو كراب : سلوك بدائي بشع !

جـــوليـــا : بدائي . أجل ! أنا نفسي تربيت فوق أكوام الروث . لا تنسى هذا أبدا . وعندى ضعف لهذا . حيوان حسي بسيط ، قذر إذا شئت ، أجل قذر ، ولكنه يعجبني ! ألقيها في الجدول ، بكامل ثيابها ، واكحت الأوساخ من عليها وتطوقني بذراعيها المبللتين السميتين وتسحبني إلى الماء ، وتظل تصرخ وتصيح من شدة الفرح ، حتى تكاد تمزق طبلة أذني .

جـــوليـــا : وهذا يعجبك ؟

فرناندو كراب : نعم . ولكن لماذا تعبسين بوجهك ؟ ماشأنك أنت بهذا ؟ أفصحي .

جـــوليـــا : ربما كان شيئا جميلا . إنني أحاول أن أتخيله . وربما حاولت أيضا أن أتشبه بحيوانك الوحشي .

فرناندو كراب : أنت ياجوليا ؟ لا . لا . إلا أنت ! يجب أن تبقى كما أنت جميلة ، رقيقة ، أنت كاملة !

جـــوليـــا : وأنت كذاب ! كلامك يبدو وكأنه اعتراف بالحب ، ولكنه في الواقع إهانة .

فرناندو كراب : آه من حساسيتك وأعصابك المتوترة ! لقد تصورت أن حالتك النفسية تحسنت .

جـــولـيـــا : أتعتقد أن الرجل يستطيع أن يفعل كل شيء ، يستطيع أن يغش ويخون . .

فرناندو كراب : ومن الذى يخون إذن ؟

جـــولـيـــا : (صارخة) أنت !

فرناندو كراب : جوليا ! أنت تتصورين كل شيء كأنك تقرأين رواية غرامية . ولكنها الحياة العادية البسيطة . أنا لا أهتم أدنى اهتمام بالسمينة ، وحتى لو كانت تعجبنى اليوم ، وربما غدا ، فلن تعجبنى بعد غد .

جـــولـيـــا : أهذا هو رأيك إذن ؟

فرناندو كراب : ورأيها بالضبط من رأيى . فهى تريد أن تتسلى معى . لكننى مازلت زوجك ياجوليا .

جـــولـيـــا : ومعنى هذا أننى مازلت زوجتك .

فرناندو كراب : أخيرا رجعت لعقلك .

جـــولـيـــا : عقلك يعذبنى يافرناندو .

فرناندو كراب : تأكدى أن سيمونا هى المستفيدة منى . فأنا أدفع ثمن كل شيء . وبالمهر الذى أعطيه لها ستحصل على زوج طيب . وعندما تزف إليه ومعها طفل منى ، فسوف يفرح بغير شك لأنى أنا أبوه . لأنه من صلب رجل مثلى !

جـــولـيـــا : اسكت ! اسكت !

فرناندو كراب : خسارة ، الإرهاق العصبى ليس من السهل شفاؤه . يجب أن نبذل كل ما فى وسعنا لكى لا يزداد سوءا .

جـــوليـــا : لست رجلا يافرناندو ! لست رجلا !

فرناندو كراب : (بتهكم) هذا كثير . كيف خطر هذا على بالك ؟

جـــوليـــا : لا . لست رجلا .

فرناندو كراب : مـا أغـرب الأفكار التـى تدور فى رأسك ! ومـا الذى يمنعنى من أن أكوْن رجلا ؟

جـــوليـــا : سأخبرك فيما بعد .

فرناندو كراب : حسن . أخبرينى فيما بعد أو لا تخبرينى على الإطلاق . احتفظى بالسر فى دماغك الرومانسى .

جـــوليـــا : سأسكت . (صمت) .

فرناندو كراب : أفضل أن تصارحينى .

جـــوليـــا : أعلم أنك لا تحبنى .

فرناندو كراب : آه ! رجـعنا للنغـمـة القـديمة ! أحب ولا أحب ، هذا اللغـو الفـارغ ! هذا كـلام تقـولينه لحـبـيب الروح . أريحينى أنا منه .

جـــوليـــا : لست فى حاجة للكلام . أنا أعـرف أيضا بنفسى - من تصرفاتك أعرف حقيقتك .

فرناندو كراب : (ساخرا) هلى أحضر لك وردا ؟

جـــوليـــا : آه . ورد ! إنه يملأ الحديقـة ! - أنت لاتمانع فى دخول الدوق وخروجه من عندنا فى أى وقت .

فرناندو كراب : المهم أن هذا يتم برضاك .

جـــوليـــا : أجل برضاى ! أجل ! أجل ! أجل !

فرناندو كراب : رجعت للانفعال !

جـــوليــــا : ولمـاذا لا أرضى ؟ إنه عـشـيـقى ! سـمـعت ؟ لقـد فهمت تماما ما أعنيه -نعم هو عشيقى. أنا أفعلها معه . فهمت . لا بطـريقتك البدائية مع سيـمونا . ويجب أن تعلم أنه عاشق متمرس جدا !(فرناندو كراب يلزم الصمت) .

جـــوليــــا : فرناندو !

فرناندو كراب : نعم .

جـــوليــــا : لقد أقمت لى ذلك الكشك بنفسك .

فرناندو كراب : نعم .

جـــوليــــا : والأريكة المغطـاة بملاءة من الحـرير الهنـدى مـوجـودة هناك ! كنا ننزل الشيش بطبيعة الحال .

(فرناندو كراب يواصل الصمت) .

جـــوليــــا : فرناندو !

فرناندو كراب : نعم .

جـــوليــــا : نعم ! نعـم ! نعم ! نعم ! أهذا كل مـا عندك ؟ ألن تقتلنى ؟ ألن تخنقنى بقبعتك كما فعلت مع الأخرى ؟ مع زوجتك المكسيكية ؟

(صمت . فرناندو كراب ينفجر فجأة فى ضحك مخيف) .

جـــوليــــا : (صارخة) كفّ عن هذا !

فرناندو كراب : (يكفّ على الفور عن الضحك ، ثم يقول بهدوء :) ليس صحيحا أننى قتلت زوجتى الأولى ، وليس صحـيحا كذلك أن الهزوءة هو عـشيقك ، أو أنه تجرأ ولمسك مـرة واحدة بطرف إصبعه. أنت تكذبين علىّ لكى تثـيرى غضبى .

تريدين أن تجعلى منى عُطيل آخر. ولكننى لست عُطيل ولن أكونه أبدا . إذا استمر بك الحال على هذا الهذيان وعجزت قـواك بالتدريج عن مقـاومته ، فسوف يـشتد قلقى عليك . وربما تحتم حبسك فى مصحة مجانين .

جـــوليـــا : أنت جبان !

فرناندو كراب : ليس بيتى مسرحا ! نحن لا نمثل مسرحية !

جـــوليـــا : (صارخة) جبان ! جبان ! (تبكى . فرناندو كراب ينصرف) .

الـــــدوق : بعد مرور أسبوع على الحوار السابق طـلب فرناندو كراب من زوجته الحضور إلى حـجـرة مكتبه . كـان هناك سـيـدان فى الانتظار . كـذلك تمكن بطريقـة شيطانية من استدعاء الدوق بوردا فيلا للحضور) .

- ٨ -

(جوليا . فرناندو كراب . الدوق . طبيبان للأمراض العقلية والعصبية)

فرناندو كراب : أقدم لك هذين السيدين اللذين لا تعرفينهما ياجوليا . إنهما البروفيسور أنريك ألفاريز والبروفسور الدكتور هرمان شتيتتر ، كلاهما طبيبان للأمراض العصبية . . . وللمجانين - جهابذة فى تخصصهما . البروفيسور ألفاريز هو رئيس قسم الأمراض العصبية والنفسية فى إحدى المصحتين اللتين تمولهما مؤسسة فرناندو كراب . إننى فخور بأنهما أحدث المصحات العلاجية فى البلاد وأكثرهما تقدما من الناحية العلمية .

جوليا : (للدوق) وماذا تفعل هنا يا خوان ؟

الدوق : طلب منى الحضور إلى هنا .

فرناندو كراب : سيفحصك هذان السيدان ويقومان بعلاجك . رأسك ليس على ما يرام ، لذلك اضطررت لترتيب هذه الزيارة . سوف تدركين هذا عندما تستردين صحتك وعافيتك .

جوليا : (للدوق) كنا نتقابل دائما فى أماكن أخرى ياخوان ، هذا المكان لا يلائم المواعيد الغرامية .

الدوق : إننى أشعر بالخجل (ينظر للأرض) .

جوليا : لماذا تحول بصرك عنى؟ انظر إلى ياخوان ! أنا جوليا !

الدوق : أنا أعرفك تماما ياسيدتى الفاضلة .

جوليا : لم تتعود الكلام معى بهذه الطريقة الرسمية !

فرناندو كراب : (للطبيبين) لعلكما تلاحظان ، ياسادتى ، أن رأسها
ما يزال يتشبث بهذه الفكرة الثابتة . بدأ الأمر بشكل
غير ملحوظ إطلاقا ، لكن حالتها ساءت بالتدريج ،
حتى أصبح الكلام معها متعذرا . وتعذر على أنا نفسى
أن أتكلم معها كلاما معقولا ، مع أنى أنا زوجها .
إنها تزعم ، بل تصر باستمرار ، على أن هذا السيد
الموجود هنا ، ولكن ماذا أقول ؟

جوليا : أجل ، هو عشيقى ! هذا صحيح ، وأنا أعترف بهذا .
إذا كنت مخطئة فليتكلم !

فرناندو كراب : سمعت ، أيها الدوق ، ماتؤكده زوجتى . ساعد
المسكينة بأن تقول الحقيقة . يجب أن يكون للطبيبين
المختصين فكرة عن الحالة . وأنا مضطر أن أسألك
بصراحة كاملة : هل كانت لك أى علاقة حميمة مع
زوجتى ؟

الدوق : طبعا لا ! لا ! أعوذ بالله !

فرناندو كراب : أرأيتم ياسادتى !

جوليا : ما هذا الذى تقوله ؟ هل تنكر كل شىء ؟

الدوق : أنا لا أذكر أبدا أننى . . .

جوليا : هل تنكر ما كان يجرى بعد الظهر فى الكشك ؟
ساعات العصر الطويلة حتى الغسق . . . عندما كنا ننام
على الأريكة متعانقين . عاريين . وكيف رجعت فى
إحدى الليالى لأنك لم تصبر على البعد عنى ، ولا أنا

أيضا صبرت ، ثم بقيت حتى طلوع الصبح ، حتى اللحظة الأخيرة عندما عاد فرناندو من سفره وأخذ ينادى علىّ من بئر السلم ، بينما هربت أنت وقفزت من الشرفة . وسقط زرار منك لأنك كنت متعجلا ! سقط من سروالك !

الدوق : سيدتى الفاضلة . . .

جوليا : وعثر فرناندو عليه !

فرناندو كراب : أنا عثرت على زرار ؟ أرأيتم ياسادة . . .

الدوق : تمسكى بالعقل ياسيدتى الفاضلة ! عودى إلى نفسك ! أتوسل إليك !

جوليا : أنت تنظر إلى بفزع شديد ، وكأنك لا تعلم شيئا على الإطلاق عن الموضوع الذى أتكلم عنه !

الدوق : أرجوك أن تهدئى نفسك ! أرجوك !

جوليا : وهل أكذب ؟

الدوق : الكذب . . . ليس هو الكلمة الصحيحة .

فرناندو كراب : حالتك للأسف . . .

الدوق : أجل ، كما تقول !

فرناندو كراب : . . . حالتك للأسف لاتسمح لك بالتفرقة بين الواقع والوهم . ألم تقصد هذا يادوق ؟

الدوق : أنا فى غاية الأسف للحالة التى وصلت إليها زوجتك ، ياللمصيبة ! ليتنى أستطيع مساعدتها !

فرناندو كراب : كف عن هذا النواح ! سيقوم الطبيبان بمساعدتها ، لقد استدعيتهما لهذا الغرض ، ويمكن الاعتماد عليهما . .

جـــــولـيـــــا : نهارك سعيد يابروفيسور ألفاريز ، نهارك سعيد ياسيدى الدكتـور هــيرمـا نشـتــر. الغـريب أننى لم ألاحظ وجودكما إلا الآن ! ما أجمل أن تكون لديكما النية فى مساعدتى !

فرناندو كراب : (يصفق بيديه) برافو !

جـــــولـيـــــا : ولكنكما لا تستطيعان مساعدتى . (للدوق) : سؤال أخيـر ياخوان ! أظـن أننى لا أتوهم أنك كنت تتـردد عـلى بيتنا ثم أكثرت من زيارتنا فى الفترة الأخيرة ؟

الـــــــــدوق : لا . أنت لا تتوهمين ذلك ياسيدتى الفاضلة .

جـــــولـيـــــا : وما الذى كنا نتـحدث عنه باستمـرار ؟ دعنى أتذكر . رأينا قطة تقفز على الجدار فأخذنا نتناقش عن الحيوانات وعن القطط بوجه خاص : هل لها روح ؟ وإذا كان لها روح فهل هى خالدة مثل روح الإنـسان ؟ تناقشنا حول هذا الموضـوع ثم رجـعنا لبعـض الفلاسـفـة وقلبنا فى أعمالهم المصفوفة على رفـوف المكتبة . . لم نصل فيما أعتقد إلى أى نتيجة ، أم ترانى نسيت هذا أيضا ؟

فرناندو كراب : تناقـشـتمـا عن قطة . . نعـم . نعم ! هذا شىء يمكن تصديقه .

جـــــولـيـــــا : كما تناقشنا عن الحـياة بعد الموت . . ألم أقل لك إننى أشعر أحيانا بأننى مت بالفعل ؟

فرناندو كراب : ما هذا الكلام ؟ أنت معنا هنا بدمك ولحـمك - جوليا الممتلئة بالحياة . زوجة فرناندو كراب .

جـــولـيـــا : (مشيرة إلى الدوق) وهذا ؟

فرناندو كراب : قل لها يادوق لمـاذا كنت تأتى إلى بيتنا بانتظام ؟

الـــــدوق : طبعا بدافع صداقتى لك ياسيد كراب .

جـــولـيـــا : ماذا ؟ أأنتما صديقان ؟

فرناندو كراب : لقد أنقـذت قصره من الانهـيار ، أعنى ذلك الصندوق العفن القديم . هذا هو الذى يقصده ، أليس كذلك ؟

الـــــدوق : أجل .

فرناندو كراب : زوجـــتى هى التى طلبـت منى ذلك ، ولولا هذا مـا فعلت .

الـــــدوق : وكنت بطبـيعـة الحـال أتردد أيضا على بـيتكم بسـبب إعجابى بالسيدة الفاضلة التى تسمح لى أحيانا بالتحدث معها . لا يعقل أبدا أن يسيىء بوردا فيلا استغلال الثقة التى وضعها فيـه صديق أو أن يفكر فى خيانة مثل هذا الصديق الشهم .

فرناندو كراب : صديق مثلى ؟ أليس هذا هو الذى تقصده ؟

الـــــدوق : أجل مثلك .

فرناندو كراب : ماذا ؟ هل تصورت أننى عمـلت لأمانتك أى حساب ؟ أو أننى وضعت لها أى اعتـبار ؟ إن أخلاقك لا تعنينى على الإطلاق ! وهى غيـر موجودة بالنسـبة لى . إنك توجهها كما تشاء ، مرة هنا ومرة هناك ، حسب الاتجاه الذى تهب منه الريح . هكذا أنت . أعرف هذا تماما ، وأعرف أيضا أن الكل مثلك . كل الذين لا يعيشون إلا

على رؤوسهم ويدّعون أنهم يملكون حكمة العالم .
لتكن إذا شئت أبرع النصابين أو أفتك الفاتكين ،
لا المخلوق البائس الذى أراه الآن أمامى - مع ذلك لن
تستطيع أن تغشنى . لم يخلق ذلك الذى يستطيع أن
يخدع فرناندو كراب . هلى فهمتنى ؟ هل هذا هو
الذى أردت أن تقوله ؟

الـــــدوق : أجل . . . أردت أن أقول شيئا يشبهه .

فرناندو كراب : يشبهه أم هو بالضبط ؟

الـــــدوق : أجل ، بالضبط .

جـــولـيــا : (تنفجر صارخة) وأنا المجنونة ؟ أنا ؟ يحبسوننى فى مصحة
المجانين لأنك خائف من قول الحقيقة، أنت أيها الجبان !
لقد اشتراك بماله. وها أنت أمامى تزحف على الأرض.
لسانك يتدلى من فمك ولعابك يسيل منه لسان ضخم
شره ! ازحف على بطنك إليه ، فلسانك يشتهى أن
يلعق قدميه ، كم يرتجف من النهم إليها . سيخلع على
الفور حذاءه ويمد إليك قدميه القذرتين ، قدميه اللتين
وقف بهما فوق أكوام الروث فى الحظيرة. هيا العقهما !
هيا العقهما !

فرناندو كراب : (للطبيبين) سادتى . لابد أنكما قد شخصتما الحالة .
ساعداها من فضلكما ، ابدآ العلاج ، فعلا كل ما
تستطيعان .

الطبـيـب الأول : مأساة فظيعة ! كيف نتصرف يابروفيسور ألفاريز ؟

الطبيـب الثاني : طاطا ! يادكتور هيرمانشتتر !

الطبـيـب الأول : أظن أن « طاطا » لن تساعدنا للأسف كثيرا يابروفيسور ألفاريز .

الطبيـب الثاني : ما العلاج الذى تقترحه ؟

الطبـيـب الأول : وأنت ؟

الطبيـب الثاني : هل الصدمة الكهربائية فى رأيك مناسبة لهذه الحالة ؟

الطبـيـب الأول : (بتهكم) طاطا !

الطبيـب الثاني : ولكن الحذر واجب ، ورأيى ألا نبدأ مباشرة . ما رأيك فى اللجوء للأدوية ؟

الطبـيـب الأول : المهم أن نبدأ بتهدئة أعصابها - هذا هو اقتراحى .

الطبيـب الثاني : لا داعى لهذا . فالمريضة هادئة جدا !

(لجوليا) سيدتى الكريمة الفاضلة . (جوليا لا تتحرك) .

الطبـيـب الأول : إنها لا تسمعنا .

الطبيـب الثاني : طبيعى أن تحس بالإرهاق بعـد الانفعال الشديد ، وهو فى الواقع أمر عادى .

الطبـيـب الأول : عادى جدا !

الطبيـب الثاني : (لجوليا) سيدتى الفاضلة ! (جوليا لا تستجيب) .

الطبـيـب الأول : لدى انطباع ، يابروفيســور ألفاريز ، بأن رأينا واحد فى هذه الحالة .

الطبيب الثانى : وما هو ؟
الطبيب الأول : لست مضطرًا للإفصاح عنه .
الطبيب الثانى : أجل ، لست مضطرا لذلك . إننى أقدر موقفك تماما . ولكن إذا لم تكن الحالة مرضية ، فهل من حقنا أن نضعها تحت المراقبة ؟
الطبيب الأول : (ساخرا) طاطا !
الطبيب الثانى : لا بد أن أصارحك بنفورى من هذا الموضوع . أشعر فى دخيلة نفسى بأننى غير مستريح !
الطبيب الأول : ولكننا مضطرون لهذا .
الطبيب الثانى : لا تعذبنى بهذا الاضطرار !
الطبيب الأول : أنا أعذبك ؟ كيف خطر هذا على بالك ؟ أنا ؟
الطبيب الثانى : شىء فظيع !
الطبيب الأول : ولكن إذا أخرجناها من المصحة ، إذا قلنا إنها ليست مريضة على الإطلاق ؟
الطبيب الثانى : فظيع .
الطبيب الأول : سيقتلها زوجها ويقتل معها هذا المدعو بوردا فيلا .
الطبيب الثانى : أجل . ومن جهة أخرى : لدى ضميرى المهنى !
الطبيب الأول : أنت تدرك بغير شك أننا نمنع فى هذه الحالة وقوع جريمة أسوأ !
جوليا : لست طبيبا !
الطبيب الأول : رائع ! هل سمعت يابرفيسور ألفاريز ؟ أنا لست طبيبا !
الطبيب الثانى : رائع ! هذا يعفينا من المسئولية !

جـــولـيـــا : أنت عطيل !

الطبـيب الأول : أنا عطيل ؟

جـــولـيـــا : سأهمس فى أذنك بأغنية (تغنى) :

« البنت البنت الشغالة جلست فى الصبح الباكر

جلست تحت الصفصافة وانطلقت تشدو بغناء ساحر »

لابد أنك تعرفها ؟ فهى ليست من اختراعى !

الطبـيب الأول : (للطبيب الثانى) اسمع ! حاول أن تسمع !

جـــولـيـــا : معذرة لقد أخطأت ! الواقع أن دماغى مشوش . الدليل على هذا أننى حسبتك زنجيا ! آه ياجوليـا ! ياجوليا ! افتحى عينيك !

(الطبيب الأول يستدير نحو جوليا .. إنه هو فرناندو كراب . ثم لا يلبث أن يرجع لوضعه الأول) .

الطبيـب الثانى : يتحتم علينا فى الواقع أن نقرر بأن فرناندو كراب هو المجنون الحقيقى . يجب علينا أن نؤكد هذا بصوت مرتفع وبكل حزم .

جـــولـيـــا : أعترض على هذا ! إنه أخبث بكثير من عطيل ! عطيل مجرد حيوان بليد ، والمشهد الحاسم (فى المسرحية) يوضح هذا تماما . أليس كذلك ياخوان ؟ - أنت الآن تلزم الصمت . تنكرنى . ألم نتجاذب أطراف الحديث باستمرار فى الكشك ؟ ألم نتكلم عن المشكلات النفسية باستخدام الجمل الشرطية ؟ لقد انتقم فرناندو كراب لنفسه بطريقة مختلفة كل الاختلاف عن عطيل .

هل أنا الآن ميتة ؟ إنه لم يخنقنى ؛ لأنه لا يمس بأذى أى شيء يملكه . وهو لم يقتلك أنت أيضا ياخوان ؛ فأنا أراك الآن أمامى . عفوا يابروفيسور ألفاريز - أم ترانى أخطىء مرة أخرى. اكشف نفسك ياجبان ! ياجبان ! ياجبان !

(الطبيب الثانى يستدير نحوها . يتبين أنه هو الدوق) .

الطبيب الثانى : (الدوق) جوليا ! أنا يائس يأسا فظيعا ياجوليا ! . . حاولت أن أعبر عن يأسى ، وأن أعطيه شكلا . . شكلا يمكن أن أسميه مرثية . . لكن الألم الذى يوحى إلى بالصور السوداء الثقيلة ، يمنعنى فى نفس الوقت من تقييدها فى حروف على الورق . . . فاض بى الحزن حتى تعذر على التعبير عنه بالكلمات - كل شيء ينضح بالألم - أخشى على نفسى أن أتجمد ! أنت تعرفين استعدادى التعس للإصابة بنوبات الاغماء ، جوليا . . حبيبتى جوليا ، من الذى سيفهمنى لو فقدتك ؟ أنت وحدك . .

جـوليـا : وأنت أيها الخائن ! لقد تخليت عنى ! أنت المسئول عن حبسى هنا (صارخة) فى مصحة المجانين !

الطبيب الثانى : (الدوق) آه ياجوليا المسكينة ! ياروحى المسكينة !

الطبيب الأول : لو أبقيناها هنا مدة أطول ، فربما تمرض بالفعل يابروفيسور ألفاريز .

جـوليـا : سيدى البروفيسور ألفاريز . لقد توصلت لحقيقة لابد أن أخبرك بها : هذه الزوجة المكسيكية . .

الطبيب الأول : من تقصدين ؟
جوليا : لا تدع الجهل بالموضوع ! لقد جمعت بنفسك كل التقارير وقرأتها عليّ ! أقصد زوجة زوجى الأولى فى المكسيك. لقد تبين لى الآن بوضوح أنه لم يلجأ إلى القوة لقتلها ، إذ لم يكن فى حاجة لاستخدام القوة فى قتلها ! لقد صحوت من غيبوبتى وفتحت عينى. إنه هو الذى أوصلها إلى الحالة التى دفعتها للموت من تلقاء نفسها .
الطبيب الأول : آها !
جوليا : هل تحبنى ، ياسيادة البروفيسور ألفاريز ؟
الطبيب الأول : عفوا ؟
جوليا : الجميع يحبوننى لجمالى . سأقول لك الآن لماذا أحب زوجى، لماذا أحب فرناندو كراب. لا تهرب أرجوك !
(الطبيبان يلوذان بالفرار) .
جوليا : يا للدهاء الذى قهر به هذا الدوق بوردافيلا وجعله يكشف أمامى عن تعاسته المزرية ! كنت عمياء . حكمت على نفسى بالعمى ! أما هو ! أما هو فقد أنقذنى . لقد عرف كل شىء ورأى كل شىء ودبر خطته الشيطانية . هل قلت « الشيطانية » ياجوليا ؟ أجل . هذا هو الذى قلته . ولم تزل الكلمة معلقة فوق رأسى فى الهواء ! لقد أنقذنى ملاك شيطانى من السقوط فى الهاوية . لهذا أحبه ! أحبه .

- ١٠ -

-((جوليا - فرناندو كراب - يدخل فرناندو))-

جـــوليـــا : فرناندو . سامحني . (تسقط منهارة على الأرض) .

فرناندو كراب : وعلام أسامحك ؟

جـــوليـــا : سقطت على الأرض فجأة ، أشعر بضعف شديد . لقد قاسيت طويلا من المرض .

فرناندو كراب : لا ، لا . يجب أن تنهضي . كل شيء على ما يرام . (يرفعها من على الأرض)

جـــوليـــا : سامحني !

فرناندو كراب : علمت من أطباء المصحة أنك عوفيت تماما من حالة الذهان التي أصابتك .

جـــوليـــا : كنت مجنونة ! مجنونة جنونا فظيعا ! وكم كذبت في أثناء جنوني ! وكل هذا لأثير غيرتك ! لهذا السبب وحده ! هل تصدقني ؟

فرناندو كراب : (في غاية البرود) : لقد سألتني مرة إن كنت حقا قد قتلت زوجتي الأولى . وسألتك هلى يمكنك أن تصدقي هذا . هل تذكرين ردك عليّ ؟

جـــوليـــا : قلت لك : لا . لا أصدق . ولن أصدق ذلك أبدا .

فرناندو كراب : كذلك أقول لك اليوم : كما لم تصدقي أنني ارتكبت هذه الجريمة ، كذلك لم أصدق أبدا تلك الحكاية مع الدوق .

- ١١ -

-((الــــــدوق))-

الــــــــــدوق : (يقرأ خطابا) « لعلك قد عـرفت ، ياعزيزى الدوق بوردا فيلا ، أن زوجتي قد غادرت مـصحة الأمراض العقلية وهى فى أتم صـحة وعـافيـة . وهى تريد أن تتحـدث معـك . تعال لزيارتنا بعـد غد الخـميس لكى نـسوى المسألة . زوجـتى ترجوك رجاء حـارا ، وأنا أصر على حـضورك . أنا واثق من أنك سـتـحضـر . يمكنك أن تتصـور العواقب الوخـيمـة التى قد تترتـب على عدم حضورك . فأنت تعرفنى جيدا . فرناندو كراب » .

- ١٢ -

-((جوليا . فرناندو كراب . الدوق))-

فرناندو كراب : من فضلك أحضرى الشاى بنفسك ياجوليا ! واصرفى الخادمة ورئيس الخدم أيضا . يمكنهما أن يأخذا اليوم إجازة . والمساء كله .

الدوق : شاى ؟

فرناندو كراب : لا . لا . لا داعى للقلق ! أنا فى أتم صحة ولا أشكو من أى تعب فى المعدة . أنت بالطبع تحب اللقاء على الشاى . لهذا قررت أن تشرب الشاى . هل أنت مستريح فى مكانك ؟ يمكنك بكل سرور أن تجلس على الأريكة ، جوليا لن تعترض بكل تأكيد إذا رأتك على ملاءتها الهندية الجميلة .

جوليا : أبدا . أبدا . ليس لدىّ أى اعتراض .

الدوق : أنا مستريح هنا تماما . شكرا لكما (صمت) .

فرناندو كراب : ياللهدوء البديع ! لولا هذا الصوت الغريب الخافت . آخ . . إنه فنجانك الذى يحتك بالطبق ! . .

(الدوق يعدل بسرعة وضع الفنجان) .

فرناندو كراب : معذرة فأذنى شديد الحساسية . لم أقصد أن أسبب لك أى حرج .

الدوق : وما وجه الحرج إذن ؟ لا . لا ! . .

فرناندو كراب : بل سببته لك ! فأنت إنسان مثقف ، ورأيك فىّ أننى مخلوق فظ ، ولكن لا بأس . جوليا ، لقد صببت

الشاى لضيفنا الدوق وحده ، لماذا لم تصبى لى أيضا؟ أريد أن أتناول جرعة قبله ، حتى يطمئن السيد الدوقُ إلى أن الضيوف يمكنهم أن يستمتعوا فى بيتى بكل ما يقدم لهم دون أى خوف أو قلق .

جوليا : أعلم أنك تشربه بالسكر ! (تضع السكر فى فنجان الدوق) .

فرناندو كراب : أنا فى العادة لا أقرأ الروايات والكتب الأدبية وما أشبه، بل أكتفى أحيانا بقراءة الجرائد اليومية وأخبار الحوادث . بهذا يعرف الإنسان ما يدور فى الدنيا . أليس كذلك ؟

الدوق : لا أدرى . لا أستطيع أن أحكم . . .

فرناندو كراب : (لجوليا بلهجة مرحة) هل رأيت كيف تقلص وجهه ! إنه لا يطيق كلامى ، هذا المثقف الحساس ! فى هذه الأخبار نقرأ أحيانا عن بعض الجرائم التى لاتصدق ونتعجب من أحوال البشر . أنا نفسى أتعجب منها ، مع أنى أعتقد أننى أعرفهم بحكم أننى من رجال الأعمال . ولكن لا يستطيع أحد ياسيادة الدوق أن يخدعنى .

الدوق : لا . بالتأكيد لا .

فرناندو كراب : ثم إنك تعتبرنى كذلك إنسانا قادرا على كل شىء !

الدوق : هناك حدود . . . هناك حدود معينة . . .

فرناندو كراب : الناس كلهم يمكن أن يباعوا ويشتروا ، أم لك رأى آخر؟

الـــــــــدوق : الحقيقة ... أرجو ألا يكون هذا صحيحا ...

فرناندو كراب : بعضهم يملك العقل ، والبعض يملك المـال .

جــــولـيــــا : يجب التسامح مع الفنانين فى بعض تصرفاتهم .

فرناندو كراب : ومن الذى يتكلم هنا عن الفنانين ؟ تذكـرت ! سمعت أنك تنظم الشعر للتسلية .

الـــــــــدوق : إننى أحاول فى بعض الأحيان .. أن أعبر عن نفسى .

فرناندو كراب : وهذا هو الذى أفعله أنا أيضا ! إننى أقول ما أريد .

الـــــــــدوق : أعنى أننى أقوله شعرا ... فى إيقاعات حرة .

فرناندو كراب : استـمـر فى ذلك على راحـتك ! وإذا جـمعت القـدر الكافى ، فسوف أطبعه على نفقتى .

الـــــــــدوق : سيشرفنى هذا ... شرفا عظيما .

فرناندو كراب : شـرف ! ... شرف ! .. كـلام فـارغ . أنت بالطبع لاتجد أحدا يطبع ما تقوله !

الـــــــــدوق : أبدى البـعض قـــدرا من الاهـتـمـام .. وإحـدى دور النشر ...

فرناندو كراب : وهذا أفضل ! بهذا أشترى الكمـية كلها وتخزنها ، كم نسخـة هى إذن ؟ - فى كشك جوليـا - عظيم جدا ! هل يسعدك هذا ..

الـــــــــدوق : أشكركم على اهتمامكم ..

فرناندو كراب : ولكن ينبغى عليك أن تفكر فى كتابة روايات بوليسية ! قـصص عن جرائـم القتل ! سـيكون الإقـبـال عليهـا أشد ...

الـــدوق : ليس هذا للأسف هو الجنس الأدبى الذى أحبه . . .

فرناندو كراب : تصور أننى قرأت مؤخرا عن زوج ذبح عشيق زوجته ، ثم فصل رأسه الذى ينز بالعقل والحكمة فصلا تاما عن جسده .

الـــدوق : من الواضح أنه مصاب بمرض عقلى . .

فرناندو كراب : ليكن الأمر كذلك . المهم أنه قام بعد ذلك بتقطيع الجسد قطعا صغيرة وعلف بها الدجاج . لم يعثر رجال الشرطة إلا على الرأس .

الـــدوق : شىء فظيع !

فرناندو كراب : الحقيقة أنه كان يملك مزرعة للدواجن . . وقصة أخرى لا أريد أن أضايقك بها .

الـــدوق : أبدا ! أبدا ! تفضل . . .

فرناندو كراب : الواقع أن جوليا تأثرت تأثرا شديدا ؛ فهى فى العادة لا تهتم بقراءة التقارير التى تنشر فى صحف الحوادث والفضائح . . وهذا بالطبع شىء لا بأس به . . فهى تفضل أن تشغل نفسها بما هو أجمل . إنها محاولة لقتل الزوج ، وهذا هو الذى كشف عنه التحقيق . ولكن الزوجين تصالحا بعد ذلك وتمكنا من إرسال العاشق- وهو بالمناسبة حلاق الزوجة - إلى الشيطان . مغزى القصة : شنق الحلاق نفسه .

الـــدوق : يا سيد كراب . . . أرجو . . .

فرناندو كراب : لابد أننى أثقلت عليك ! أم بـدأت تشعـر بالقلق لأنك لم تعـرف حتى الآن لـماذا رجـونـاك أن تشـرفنا ؟ جوليا !

جـــولـيـــا : طلبت من زوجى أن يدعوك للحضور لأننى وجدت من واجبى أن أعتذر لك عن الإهانة الشـديدة التى وجهتها إليك .

الـــــدوق : ولكنى لا أعرف ماذا تقصـدين بكلامك هذا ياجوليا ! فأنت لم تسيئى إلىّ أبدا !

فرناندو كراب : يستـحيل على إنسـان مثـقف مثلك ، ياسـيادة الدوق بوردافـيلا ، أن لايدرك حـقـيقـة الموقف على الوجـه الصحيح . .

جـــولـيـــا : أعتـرف بأننى وضعـتك فى موقف شـديد الحرج أنا آسفة غاية الأسف .

الـــــدوق : إنكما تسببـان لى الارتباك الفظيع . . وأنا لا أعرف فى الواقع . . .

فرناندو كراب : (يقاطعه) حذار ! (الدوق يصاب بالرعب ولا يدرى ماذا يقول) .

جـــولـيـــا : أنت إنسـان فى غاية الأدب والذوق ولاتريد أن تسـبب لى أى حرج .

فرناندو كراب : لابد أنك تقدر أن الإنسان الذى يـلحق أذى بإنسان آخر ويشعر نتيجـة ذلك بالإحساس بالذنب تجاهه ، لابد أن يطلب منه أن يسامحه ويصفح عنه

الـــــــدوق : طبعـا ياسيد كـراب . ولكن أى أذى تقصـد ؟ وما هو الظلم الذى وقع علىّ ؟

جـــولـيـــا : لقد كنت فى غاية المرض - مرض المخ ! لهذا أطمع فى أن تعفو عنى .

الـــــــدوق : أرجوك ياجوليا ألا تعذبى نفسك .

جـــولـيـــا : بل أريد أن أتكلم . أن أستـجمع كل شجـاعتى وأنطق بكل شىء ولا أحـاول أن أجمل أى شىء ، حـتى إذا صفحت عنى ، شعـرت شعورا حقيقـيا بأننى أصبحت حرة .

فرناندو كراب : (بفظاظة) كفّ عن مقاطعتها !

جـــولـيـــا : لقد وقعت تحت تأثير نوبة الجنون التى أصابتنى فادعيت أنك لاحقتنى وغازلتنى وهمـست فى أذنى بالاعترافات الحارة بحـبك لى ، كما زعمت أنك نجـحت فى إذكاء لهيب عواطفى نحوك .

الـــــــدوق : أنت قلت هذا ياجوليا ؟

فرناندو كراب : أجل قالته لى ! والآن يبدو عليك الرعب !

جـــولـيـــا : وادعيتُ أخيرا أننى استـسلمت لك فى النهاية . آه من تلك الحـالة التى وصلت إليـهـا ! كـانت حـالة جنون كامل! كيف أمكننى أن أقول شيئا كهذا ؟

الـــــــدوق : آه ! يؤسفنى هذا غاية الأسف .

فرناندو كراب : أجل ، لقد تعرضت لموقف مؤلم غاية الألم .

جـــولـيـــا : وقلت أيضـا مـا هو أكـثر من هذا ! قلـت إننا ارتكبنا أفعالا فاضحة جدا ، فوق هذه الأريكة نفسها ! لا مرة

واحدة ، بل مرات عديدة ، ،وبصورة متكررة . وقلت إنك كنت تحضر أحيانا بالليل ، عندما يكون زوجي على سفر. إنني أعترف الآن ببشاعة كل ما صدر عني، وبأنني وضعتك في موقف مؤلم ومحرج غاية الحرج ! كانت فكرة ثابتة تسلطت على رأسي . يؤسفني أنك تحملت الأسئلة التي وجهت إليك في حضرة الأطباء عن العلاقة المزعومة بيننا . لابد أنها كانت لحظة مريعة بالنسبة لك ، ومع ذلك أرجوك أن تسامحني إذا استطعت ، أتوسل إليك (صمت) .

فرناندو كراب : هل تقبل هذا الاعتذار ؟

الـــدوق : يجب أن أعترف . . .

فرناندو كراب : نعم أولا ؟

الـــدوق : نعم - إنني أسامحها . أسامحكما معا .

فرناندو كراب : (في غلظة) انتبه لما تقول ! أنت لم تسىء إليّ حتى أسامحك .

الـــدوق : لا لم أفعل . هذا صحيح .

فرناندو كراب : ألاحظ أن أعصابك منفعلة . هدىء نفسك من فضلك. لقد سويت المسألة تماما - أرأيت ياجوليا ، كان هذا هو عين الصواب .

(للدوق) ليس مما يلائم طبعي وخلقي أن أداري على الأشياء الكريهة .

جـوليـا : وأنا في غاية السعادة يافرناندو .

فرناندو كراب : لو سولت لك نفسك أن تصور المسألة بشكل آخر ياسيادة الدوق . .

الـــــــدوق : لن أفعل قطعا !

فرناندو كراب : من يدرى ؟ إنك تتسكع فى كل مكان وتثرثر . . ربما فى « إيقاعات حرة». . . أنصحك بأن تكف عن هذا . إنك تعرفنى .

جـــولـيـــا : آه ! هذه النافذة المفتوحة . أسمع من خلالها زقزقة العصافير بين الأشجار !

الـــــــدوق : أعتقد أن وجودى لم يعد مرغوبا فيه . . . (يريد أن ينصرف) .

فرناندو كراب : انتظر ! لى رجاء آخر عندك ياسيادة الدوق بوردا فيلا . تعال لزيارتنا كما تشاء! حتى لو كنت غائبا عن البيت ، فلا يصح أن يزعجك هذا . لو قطعنا العلاقة التى بيننا فجأة لأساء هذا إلى سمعتنا وأعطى الفرصة لمروجى الإشاعات . أليس كذلك ياجوليا ؟

جـــولـيـــا : أجل يافرناندو .

فرناندو كراب : ربما لديكما أسرار تقولانها لبعضكما . . بعيدا عن الأنظار . . ولا تحبان أن تفصحا عنها فى حضورى . . لهذا أترككما الآن . . (ينصرف) .

- ١٣ -

-((جوليا والدوق يجلسان صامتين . الدوق ينظر فى قلق إلى الباب))-

جـــولـيـــا : لاتتلفت دائما إلى الباب !

الــــــدوق : (هامسا) هل يمكن أن يتصنت علينا ؟

جـــولـيـــا : لا داعى للهمس !

الــــــدوق : أحس أن صوتى هرب منى .

جـــولـيـــا : ليس من طبع فـرناندو كـراب أن يسـترق السـمع وراء الأبواب ويتصنت على ما نقول !

الــــــدوق : بعد كل ما جرى . . .

جـــولـيـــا : صدقنى ياخوان . لا داعى للقلق .

الــــــدوق : تقولين لى لا داعى للقـلق ؟ أنت ياجـوليا ! إننى الآن لا أعرف من أنا ! لو لم تكونى جـالسة أمامى ، ولولا أنك تنادينني ياخوان - بهـذا الاسم الذى أعرفه والذى أربطه بشـخص معين يلقب بخـوان دوق بوردا فيـلا - شخص كنت أعتقد أننى أعرفه-لولا هذا ماعرفت . . .

(جوليا تبتسم) .

الــــــدوق : إننى أحمل فى نفسى ذكرى هذا الشخص . ليس معنى هذا أننى أعجبت به إعجابا خاصا أو أننى قدرت جميع خصاله ، لا . ليس هذا ما أعنيه ! لكنه على أية حال لم يكن فى نظرى شـخصـا مثيرا للتـقزز . أمـا الآن ياجوليا - أما الآن فإننى أتـقزز من نفسى ، وأشعر أن نفسى تتقزز منى ! (يبكى) ها أنت ترين بنفسك المصـير

الذى انتهيت إليه ، المصير الذى آل إليه هذا الإنسان الذى سبق أن أحببته (جوليا صامتة) .

الـــــدوق : الحزن الفاجع يقهرنى .

جـــوليـــا : لا ياخوان .

الـــــدوق : هل بقى لديك أى أمل ؟ هل يمكنك بعد هذه التمثيلية المشحونة بالقبح والكذب والافتراء أن تتصورى بريق أمل فى أن نرجع مرة أخرى لأنفسنا ، وأن تبعث فى مشاعرنا الصافية أنفاس الحياة من جديد ؟ بعد هذا المنظر البشع !

جـــوليـــا : أى منظر ياخوان ؟

الـــــدوق : مازلت أرانى وأنا أقف هناك ، تعسا مدحورا أعزل من كل سلاح ، وأرى الطبيبين يؤديان دور الشاهدين اللذين فهما التمثيلية الملعوبة تمام الفهم ، وأدركا كيف أكرهت على التنكر لك ؛ هذا المنظر البشع الفظيع الذى أهنت فيه أحط إهانة، كما أهنت أنت أيضا معى.

جـــوليـــا : مسكين ياخوان !

الـــــدوق : تصورت بعدها أن عيوننا لن تتلاقى أبدا .

جـــوليـــا : هل تصورت هذا ؟

الـــــدوق : يالقوتك الخارقة ، يالقوتك !

جـــوليـــا : أجل . لأنها مستمدة من حبى .

الـــــدوق : إنك- إنك تهدين لى الحياة من جديد ! تهبيننى الأمل! تمنحيننى كل شىء .

جـــــولـيــــــا : كم كنت غبية ! وهأنذا أفـهم أخيرا كل شيء ، بعد أن سقطت عنى الأخطاء وزال التشوش والاضطراب .

الـــــــــدوق : أخشى أن يكون واقفا وراء البـاب يتصنت علينا ! كيف أصـدق ياجوليـا أن يجبـرك أحـد على طلب الصـفح منى؟

جـــــولـيــــــا : أنا نفسى وجدت أن هذا شيء بديهى .

الـــــــــدوق : جوليا - أنا الآن عاجز عن فهمك .

جـــــولـيــــــا : أظن أن كل ما حدث كان يوافق رغبتك ، لقد سبق أن أكـدت بأن حكاية الحب كـلهـا لم تكن إلا وهـمـا من جانبى ، كـما أننى اعـتذرت لك أخيـرا عن خطأى . كنت على حق ، وليس هناك ما يدعوك للقلق .

الـــــــــدوق : ولكن ياجوليا ! أتريدين الآن أيضـا ونحن وحدنا تماما ولا أحد يجبرنا على الكذب ، أتريدين أن تنكرى أنك عرفت حقـيقة مشـاعرى نحوك ، وأنك استـجبت لها وكنت حبيبتى ؟

جـــــولـيــــــا : كفّ عن هذا الكلام أرجوك .

الـــــــــدوق : لكننى متأكد منه ! متأكد منه !

جـــــولـيــــــا : هذا هو الذى تتصوره ياعزيزى خوان . وهو الذى أدى بك للجنون (تضحك - الدوق يفرُّ مذعورا) .

فرناندو كراب : أثبت فرناندو كراب أنه هو المنتصر . وهذا أمر بديهى . فقـد أحبته بكل مـا فى قلبها من قـوة . ثم جاء الموت وأخذها . أخـذ جمالها أولا . ثم أخـذ شجاعتـها . وأخيرا أخذ أنفاسها .

- ١٤ -

-((جوليا - فرناندو كراب))-

فرناندو كراب : لقد أسقطت المشط من يدك .

جوليا : (هامسة) آخ ! لم ألاحظ هذا على الإطلاق .

فرناندو كراب : هو على كل حال مجرد شيء خفيف الوزن ، وهو يلتوى فى يدى بمجرد أن أقبض عليه .

جوليا : (هامسة) أعطنى إياه .

فرناندو كراب : وهذا شيء يوافق طبعى . فى إمكانى أن أسوى به قصتى .

جوليا : (هامسة) أجل .

فرناندو كراب : لم تضحكى لما قلت - فى إمكانى أيضا أن أتحكم فى تقاطيع وجهى وأرسم وجوها مختلفة ! - انظرى: هذا مثلا قرد عجوز . . . وهذا أسد مزمجر ! . الحيوانات فقط هى التى تخطر على بالى . مع أن هناك ما يكفى من الوجوه البشرية المفتعلة ! يكفى أن تتذكرى ضحكة ألفونسو الذى كنت دائما تخافين منه ! لقد حكى لى الدكتور هرما نشتتر عن مجنون كان من عادته أن يجوب الشوارع ويراقب ملامح الناس وكل تعبيرات الوجوه ويطبعها على ذاكرته ، نوع من القهر أو الحصر! ثم يختبىء فى دهليز مظلم ويحاكيها جميعًا فى الخفاء لكى يستطيع أن يتحرر منها ، مثله مثل شخص يتقيأ طعاما فاسدا. حاولى أن تتصورى هذا ! ها هو مشطك .

جـــــولـيـــــا : (هامسة) لا أطيق أن يسقط الشعر على وجهى .
فرناندو كراب : أنت تستحقين مشطا آخر ، مشطا مطعما بالألماس .
جـــــولـيـــــا : (هامسة) إننى أموت يافرناندو .
فرناندو كراب : لا ، لا ، لا ! كفّى عن هذا الهراء ! تعلمين أننى لا أطيق هذا .
جـــــولـيـــــا : (هامسة) انظر فقط إلى وجهى .
فرناندو كراب : (صارخا) لن تموتى ! هذا مستحيل ! أنت ملكى ! وأنا لا أتنازل عنك ! لا أتنازل عنك لأى مخلوق ! ولا للموت نفسه ، هذا الوغد الملعون !
جـــــولـيـــــا : (هامسة) آه كم تحبنى ! قلها ! قلها !
فرناندو كراب : أنت تعلمين هذا جيدا .
جـــــولـيـــــا : (هامسة) لكنك لم تنطق بها أبدا . لم تقلها مرة واحدة ! ربما تردّ إلىّ القدرة على الحياة .
فرناندو كراب : عندها سقطت كل الأغلال التى كانت تقيد قلبه ، وتكلم لأول مرة عن حبه لجوليا ، تكلم كثيرا ولم يستطيع أن يتوقف ، وأخذ ينشنج بالبكاء ويصرخ وينوح . أطبق على جسدها الواهن المنطفىء وضغطه على صدره ، استلقى بجانبها على السرير وراح يهتف بغير انقطاع : خذى حياتى ! خذى حياتى ! خذى دمى ! لن أتركك للموت !
جـــــولـيـــــا : (هامسة) إنك تبكى . ولكننى سعيدة .

فرناندو كراب : هكذا ماتت . وبعد أيام فتح الباب ووجدوا فرناندو مع
جوليا . ولابد أنه رفع الزوجة الميتة من الفراش وحملها
حتى كـاد يصل إلى البـاب . هناك خرّ مـعها سـاقطا
على الأرض . وعندئذ قطع شـرايين يده . هكذا مات
وهو لا يزال يضمها بين ذراعيه .

(تمت بحمد الله)

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى : حســن كامـــل



Grosse Schmahrede An Der Stadtmauer

Fernando Krapp Hat Mir Diesen Brief Geschrieben

يقدم هذا الكتاب مسرحيتين – أو بالأحرى لعبتين تمثيليتين – لتانكريد دورست (من مواليد سنة ١٩٢٥)، الذى تألق نجمه فى سماء المسرح الألمانى والعالمى خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

والمسرحية الأولى «خطبة الإدانة الطويلة أمام سور المدينة» ترجع لسنة ١٩٦١ وتعد من أهم أعماله المبكرة التى أسهمت فى ذيوع شهرته، كما سلطت الضوء على الحقيقة العارية للإنسان العادى، الذى ينشغل المؤلف بحياته المعذبة ومصيره المظلم، ويطالب معه بمكان آمن ونظيف تحت الشمس، وذلك على لسان الزوجة الصينية الشابة التى تقف أمام سور الصين، وتنادى القيصر وجنوده متوسلة أن يعيدوا لها زوجها الذى مات فى الحرب، فيرسلوا لها بديلاً خائبًا عنه وتفشل التجربة ويبقى السور رمزًا للقهر والجبروت.

أما **المسرحية الثانية** «فرناندو كراب أرسل إلى هذا الخطاب» فترجع لفترة متأخرة من إنتاج دورست (١٩٩٢)، وتعالج كذلك موضوع البحث عن الحقيقة الإنسانية البسيطة النابضة بالصدق والحياة هذه الحقيقة التى سقطت تحت أقدام رجل أعمال قاس لا يؤمن – مثل شطّار العصر الذى نعيش فيه – إلا بالمال والتملك حتى للمرأة التى يبخل عليها بكلمة أحبك، ويظل يعذ
تموت بين يديه فيتفجر حبه الموئود بعد فوات الأوان.

إن هذا الكاتب يبحث فى مسرحياته وسيناريوهات أفلامه السينمائ
الملائمة لعلاقته «التمثيلية» أو «الدرامية» بالواقع والعالم والتاريخ، مح
الأسئلة الكبرى: كيف ينبغى علينا أن نعيش؟ وماذا ينبغى علينا أ
يواصل فى كل أعماله طرح الأسئلة التى تثير القارئ أو المتفرج
النقدى الفعال وتخلصه من أوهامه وتطلعاته للقوة والتملك والثروة، و
الإنسانية الحقيقية مع الإصرار على رفض كل الإجابات النهائية والح
والحلول والمشروعات «اليوتوبية» التى أثبت التاريخ فشلها الذريع.

لوحة الغلاف للفنان م